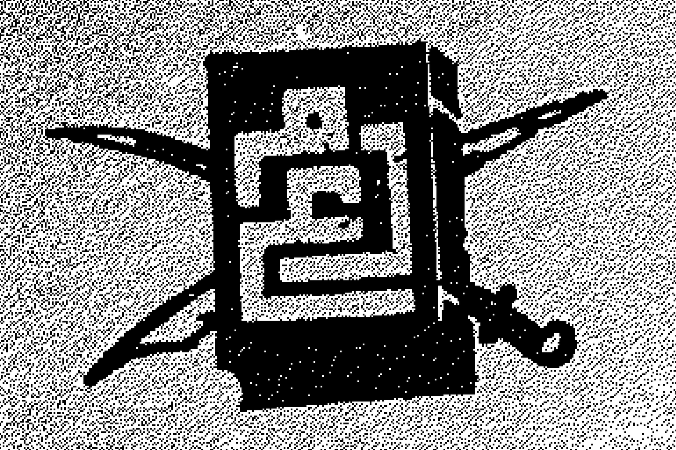


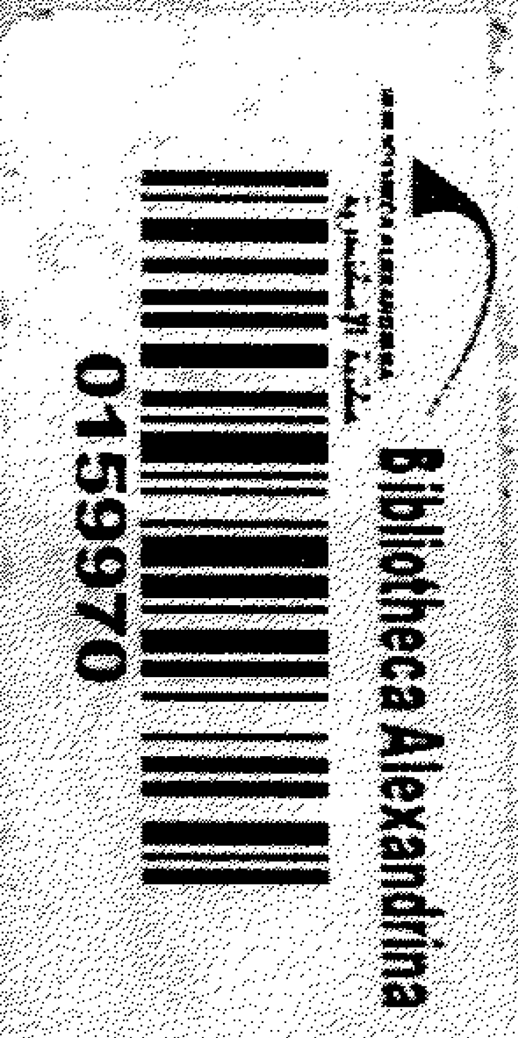
سلسلة كتب

في كتاب - ٥



بإشراف :
العماد مصطفى طلاس

مركز الدراسات العسكرية
دمشق ١٩٩٦





سلسلة كتب في كتاب - ٥



- الشرق الأوسط الجديد
- ما وراء السلام
- السلام الأجوف
- مجانين السلام

بإشراف

العماد مصطفى طلاس

مركز الدراسات العسكرية

دمشق ١٩٩٦


هيئة التحرير

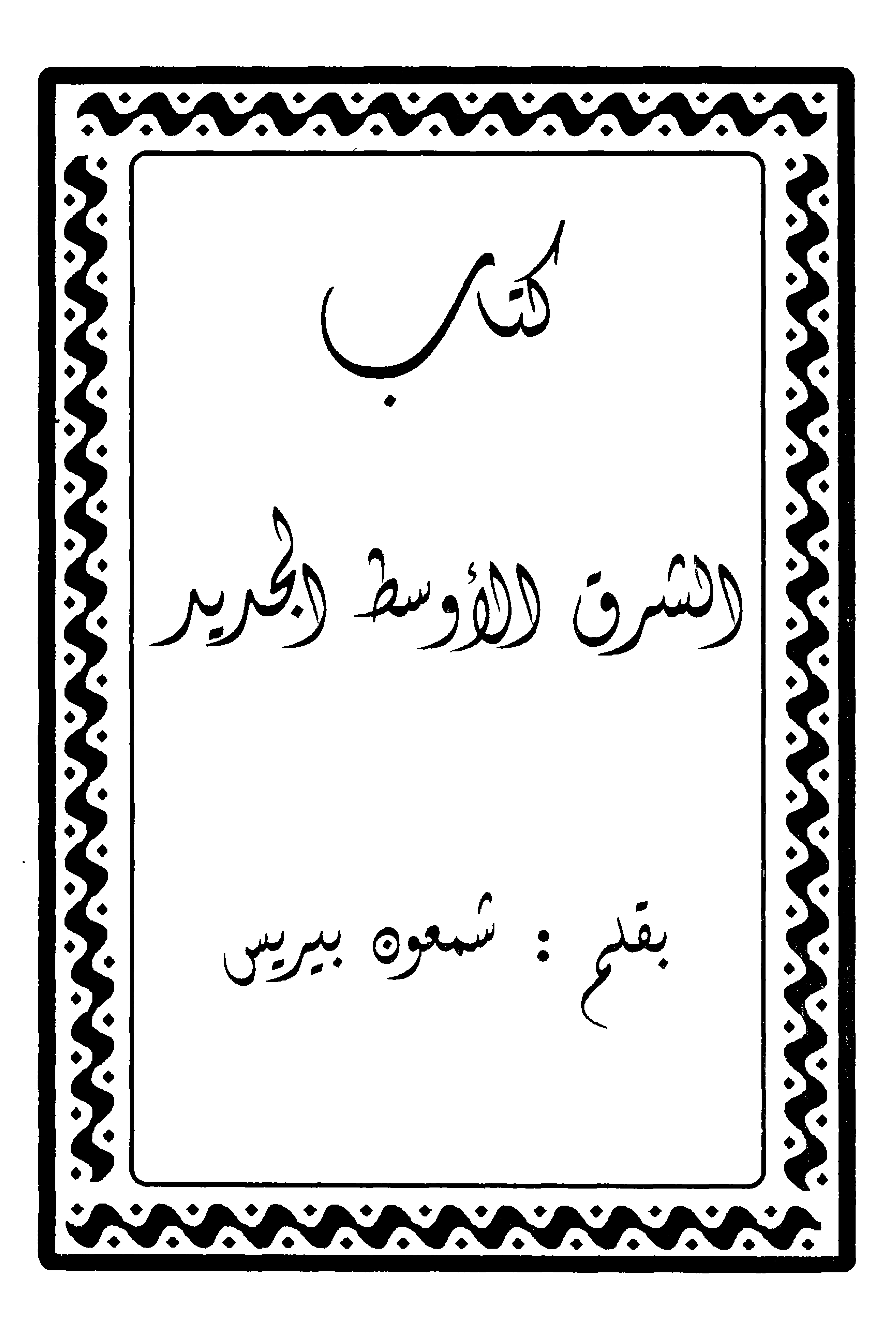


هذا هو الكتاب الخامس في « **سلسلة كتب في كتاب** » التي تصدر عن مركز الدراسات العسكرية بموجب توجيهات السيد العماد مصطفى طلاس نائب القائد العام – نائب رئيس مجلس الوزراء – وزير الدفاع، وهو خلاصة ما ورد في أربعة كتب تتعلق بعملية السلام الجارية في الشرق الأوسط.

يغطي هذا الكتاب، مع كتاب « **سلسلة كتب في كتاب -٤** » الذي صدر مؤخراً، نسبة كبيرة من البحوث والدراسات التي صدرت حول عملية السلام لمؤلفين من ذوي اتجاهات متباينة رغبة منا في عرض مختلف وجهات النظر حول العملية السلمية.

إن هذا الكتاب بما يقدمه من معلومات يلبي حاجة المتتبعين لعملية السلام من سياسيين وعسكريين، ويلقي الضوء على تأثير عملية السلام على دول المنطقة، وبخاصة الدول العربية، من مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية، وآراء المختصين المختلفة حول ذلك.

مركز الدراسات العسكرية



كتاب

الشرق الأوسط الجديد

بقلم : شمعون بيريس

كتاب

الشرق الأوسط الجديد

بقلم : شمعون بيريس

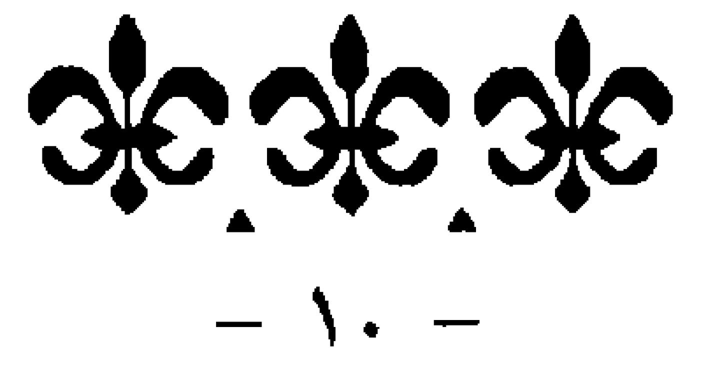
كثيرون الذين سيخدعون وللوهلة الأولى بموضوعية بيريس ومنطقه وهو يتحدث في كتابه هذا عن فشل الحروب وأهمية السلام، غير أنه سرعان ما يكتشف القارىء أن هذا السياسي الإسرائيلي المخضرم إنما يدس السم بالعسل وإن دعوته الظاهرية للسلام لا تخفي الإستراتيجية التوسعية التي التزم بها قادة اسرائيل والحركة الصهيونية، وهي استراتيجية تعبر عن قناعة راسخة موجودة في عقول قادة حزبي العمل والليكود في الوقت نفسه، قناعة تقوم على ضرورة استمرار الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة وإن اختلفت الوسيلة وتغيرت من دبابة مدمرة إلى بضاعة متقنة الإنتاج.

كتاب الشرق الأوسط الجديد

*** بقلم : شمعون بيريس.**

* يقع الكتاب في ٢٣٠ صفحة موزعة على ١٤ فصلاً وملحق.

* المحتويات :



قبل أن تقرأ الكتاب

الكتاب لا يخلو من اعترافات أجبر بيريس على تدوينها ليس أقلها أن الحروب التي خاضتها اسرائيل لم تستطع أن تضمن لها النصر النهائي أو حتى الأمن، كما ويعترف بيريس مكرهاً أن الإنتفاضة كانت الذخيرة الحية والنضال الحاد الذي أكدّ فشل الأمر الواقع الذي صمم لغرض فرض نظرية الأمن الإسرائيلية.

هذا الكتاب يجب أن يقرأ بحذر وتمعن ما بين السطور فالمؤلف عدو ماكر وخطير.

الفصل الأول

فجـــر الســــلام

في ساعة متأخرة من ليلة العشرين من آب ١٩٩٣ تم التوقيع في اوسلو على الوثيقة بالأحرف الأولى، عندها تنفس الجميع الصعداء فقد تم التوصل أخيراً إلى اتفاق عربي - اسرائيلي من خلال أعظم أسرار السياسة سرية ، وهو سر يعني الكشف عنه بداية مرحلة تاريخية جديدة في الشرق الأوسط.

إنَّ العالم الجديد كان يعني بالنسبة لنا الحروب العنيفة والمعاناة والألم لدرجة أننا وجدنا أنفسنا اسرائيليين وعرب نتصرف مغمضي العيون وكعاجزين عن أن نتمكن من تغيير الصورة المرسومة في أذهاننا لبعضنا البعض، ولعل هذا هو الوضع الذي تسبب في إضاعة الفرص، لقد انشغلنا في مقاتلة بعضنا إلى حد أننا لم ندرك كم كان الوقت مناسباً للتغيير.

بعد إنتخابه رئيساً للوزراء العام ١٩٩٢ عرض علي اسحق رابين حقيبة الخارجية، والحقيقة أن المنصب كما هو مرسوم له مقيد إلى حد كبير، أضف إلى ذلك أن الحكومة السابقة كانت قد وضعت آلية ثابتة ومعقدة للمفاوضات الإسرائيلية، أما أكثر القضايا التفاوضية تعقيداً فكانت التمثيل الفلسطيني.

لقد نجحت قيادة المنظمة في تونس بالإمساك بالخيوط بعد أن حددت تشكيلة الوفد على أساس أن الذي يتحكم بمسار المفاوضات ليسوا هم المشاركين فيها وإنما المنظمة بالتأكيد، في الشارع الفلسطيني بدأ الناس يظهرون الكثير من الشكوك، ولأول مرة تعمل قيادة المنظمة في تونس ليس على إدراك هذه المشاعر بل أخذها في الإعتبار، كما وكان يترتب على الوفد الفلسطيني أن يأخذ بأعتباره ردود الفعل المختلطة الواردة من العالم العربي الأوسع والتي تعكس بشكل عام الخلافات المفرطة بين القادة العرب.

وهنا لا بد من التنويه بدور مصر المساعد خاصة في اللحظات الحرجة. وبالمقارنة فقد بذلت ايران كل ما تستطيع لتقويض المفاوضات بواسطة حماس وحزب الله.

الولايات المتحدة بدورها اسهمت وضمنت إعطاء روسيا مكانها المحق كشريكة في رعاية هذه المفاوضات.

أما المجموعة الأوروبية التي طالما أعربت عن رغبتها في المشاركة في حل الصراع في الشرق الأوسط شعرت بأنه تم استبعادها من نطاق المحادثات الثنائية بل أنها لم تعط المكان اللائق في المتعددة كذلك.

خلال مفاوضات اوسلو انشغلت ولبعض الوقت في التفكير العميق، لقد كان واضحاً بالنسبة لي أن في قلب الصراع المهلك الطويل تكمن القضية الفلسطينية، فبعد كل هذا لم ندخل الحرب مع مصر لنستولي على نصف سيناء، ولم ندخل في مواجهة مع سورية للحصول على الجولان، لكن فعلنا ذلك من أجل ضمان الأمن والإستقرار، ولولا جمود الليكود وسياسته الإيديولوجية الرجعية لكنا أعفينا أنفسنا من ست سنوات من الإنتفاضة حيث لاحت فرصة سلام نادرة العام ١٩٨٦ فتدخل الليكود لإجهاضها بقوة.

إذن في الوقت الذي كنت أتابع فيه مجرى مفاوضات واشنطن عن كثب كنت أشعر بالخوف من مشكلتين هامتين هما: القدس والمستوطنات.

وبالمقابل فقد أظهر عرفات الكثير من الشجاعة والمهارات، فعرفات كان يدرك أنه لا بديل من التفاوض، لذلك فقد استغل عرفات إعلان المبادىء ليصبح صاحب اليد العليا في صراع القوة الذي يقوده مع خصومه داخل التحالف، وبالمقابل كنت أعلم تماماً أنه ما لم نقيم اتصالاً مباشراً مع عرفات فإنه لن يكتب للمفاوضات أن تتزحزح من مكانها، وعليه فإن واقع الأحداث والظروف الإقليمية السائدة قادتنا إلى الخروج بنتيجة مؤداها أن من مصلحة اسرائيل القبول بدور للمنظمة على هذا المسرح السياسي.

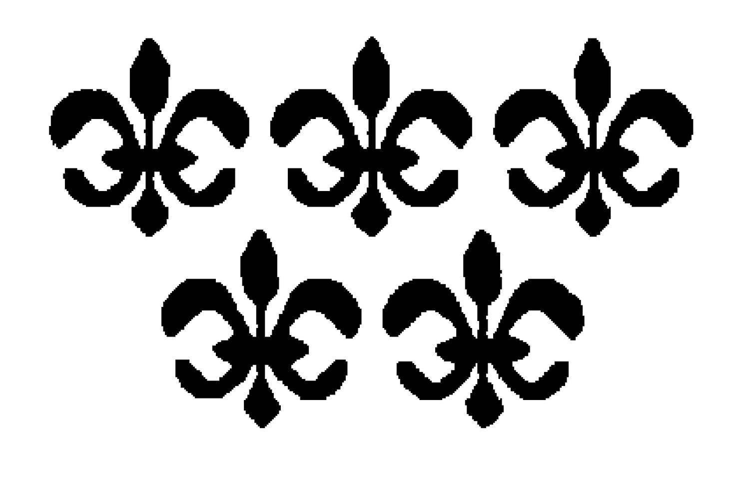
كنا نعلم بأنه لا يمكننا دفع المنظمة إلى نقطة اللاعودة. مكما أن اسرائيل لم

تستطع تحمل عبء لا تقدر عليه، فإنه لا يمكننا تحميل المنظمة عبئاً يستحيل تحمله، كنت أول من طرح فكرة غزة أولاً ثم الضفة الغربية بعد ذلك، وكان ذلك عام ١٩٨٠. ونظراً لأن غزة بؤرة المشاكل فقد قررنا السماح لقيادة مركزية للمنظمة في التواجد هناك ومواجهة مشاكل القطاع مباشرة.

بعبارة أخرى فإن فرص تمرير اتفاق غزة أولاً يعتمد على شرطين مسبقين وهما أن لا تكون غزة نهاية المطاف، وأن يأتي الطلب من الجانب الفلسطيني. وقد وجدنا في مصر الشرارة التي تطلق المحادثات والحفاظ على الزخم وايجاد حلول خلاقة كنت راضياً تماماً عن كل ما حدث، فقد تحقق ما طلبناه تماماً، عرضنا عليهم أريحا كمؤشر على عزمنا الاستمرار في التفاوض.

استمرت المفاوضات في اوسلو وفي مصر حوالي ثمانية أشهر حتى صباح ١٨ آب ١٩٩٣ حيث تم إرسال برقيات مكتوبة بخط اليد وبالإنكليزية، عندها علمت أنه تم تحقيق المطلوب ووصلنا سالمين إلى الغاية المنشودة.

بعد المصافحة التاريخية بين عرفات ورابين في حديقة البيت الأبيض وتوقيع الإتفاق غلب علي التفكير أكثر من الشعور بالسعادة، فقد اجتزت مرحلة الإحتفال إلى الخطوة التالية وهي كيف يمكن بناء شرق أوسط جديد؟ فالإتفاق في اوسلو والإحتفال في واشنطن لم يكونا سوى العتبة التي يمكن أن تقفز من عليها إلى الأعلى والأبعد.



الفصل الثاني
على مفترق الطرق

العـديد من أصـدقـائي سـألوا كـيف يمكن اسـتـبدال الإهتـمـامـات بالقـوة العسكرية لاسرائيل باهتمامات مخلصة للعملية السلمية؟ إن الواقع يؤكد بأن العالم هو الذي شهد تغيرات كاسحة، وعملية التغيير إنما تجبرنا على استبدال مفاهيمنا القديمة بمواقف أقرب إلى الحقائق الجديدة.

إنَّ العوائق الطبيعية والإصطناعية وحشد القوات ومواقع العمليات لم تعد ذات قيمة في مواجهة الهجمات الصاروخية، كل ذلك أدى إلى التقليل من أهمية العمق الإستراتيجي بعد أن حلت العوامل الباليستية محل العوامل الجغرافية.

من ناحية ثانية فإن الأسلحة غير التقليدية أعطت مفهوماً جديداً هي الحرب الشاملة، ولكن هناك سياسة بديلة تتمثل بالمعاهدات والإتفاقيات الثنائية والمتعددة فهي مفتاح ملائم للحفاظ على نظام اقليمي آمن وعادل حيث يكمن بعضه أيضاً في نواح سياسية واقتصادية مناسبة.

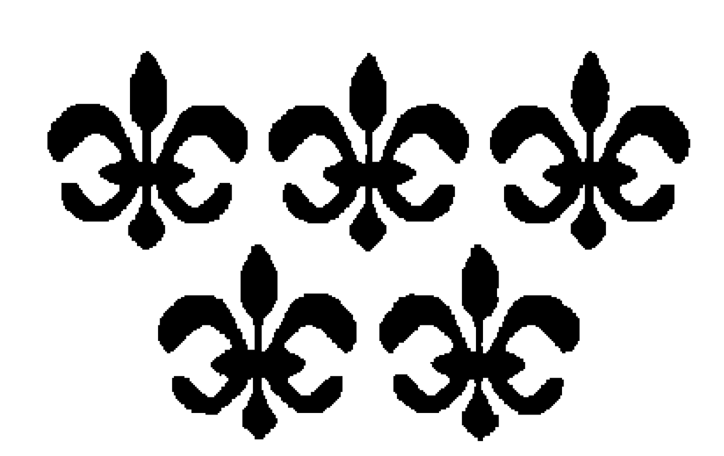
في المنطقة ومع اختفاء الإستعمار تعاظم التورط الغربي في أحداث الشرق الأوسط لمحاولة السيطرة على المنطقة فتوالت الحروب العربية الإسرائيلية وظهر سباق للتسلح كبير مما استنزف موارد المنطقة في إقامة بنية عسكرية تجاوزت القدرات الإقتصادية والإجتماعية للأقطار ذات الصلة وهكذا توقف تقدم المنطقة في وقت تجاهل فيه الزعماء قدرات بلادهم التنموية كما تجاهلوا مستوى المعيشة ورخاء الشعوب.

ومن خلال ذلك برزت ظواهر متعددة ومختلفة وذات اتجاهات خاصة «غيبيات وأصولية دينية وسياسة مناهضة للثقافة الغربية ودعوة إلى استخدام القوة لإقامة جمهورية اسلامية قمعية على النمط الإيراني – ومحاولات لامتلاك السلاح النووي»،

وبالطبع فإن هذا يهدد المنطقة والسلام العالمي. ولا شك في أن النزاع في الشرق الأوسط يضيف أبعاداً أخرى لهذا الخطر.

وعليه فإنه أصبح واضحاً الآن بأنّ التنمية الإقتصادية والإجتماعية أضحت المعيار الأساسي للديمقراطية الناجحة في الشرق الأوسط حيث يوجد ٦٠٪ من المصادر النفطية العالمية، كما وأنّ الشرق الأوسط يمثل سوقاً هائلة محتملة ونجاحه إنما يفتح فرصاً لا حدود لها في المنطقة.

إن الحل الذي يقود إلى كسر دائرة الشر، يكمن في سحق حواجز الكره والحقد، ورفع شعار لا حروب بعد اليوم ولا سفك دماء.



الفصل الثالث

لا منتصرون في الحرب

اعتاد العالم حتى فترة قريبة على رؤية المواجهة الإسرائيلية العربية باعتبارها المشكلة الرئيسة في الشرق الأوسط، أما بلدان الشرق الأوسط فقد رأت الحرب الباردة بمثابة حقيقة مركزية في الحياة السياسية، وفرصة لاستثمار نزاع عالمي بغية تعزيز النزاعات المحلية، ولم تكن هذه أول مرة تعمل فيها مصالح محلية في هذه المنطقة على استخدام أزمة عالمية بما يخدم مآربها، إلا أن ذلك كله تغير ما أن ألقت الأصولية بظلالها على النزاع الإسرائيلي - العربي بالإضافة إلى أن العالم انقسم إلى شطرين: إنشطار عمودي وإنشطار أفقي وكان الإنشطار الأول ايديولوجياً وسياسياً ومن ثم استراتيجياً، وأخذت الشيوعية والديمقراطية تتباريان للفوز بقلب الإنسان، وروسيا وأميركا لكسب النفوذ العالمي، وحلف وارسو والأطلسي للحصول على اليد العسكرية.

ولا غرابة إذن في أن الإتحاد السوفييتي سابقاً راح يغدق السلاح على العالم العربي وبشروط سخية ويصوغ له النظريات السياسية، بيد أن تفكك الإتحاد السوفييتي أنهى الحرب الباردة وبذلك انتهت فوائدها للنزاع في الشرق الأوسط.

وهكذا ليست الأصولية وحدها، بل أيضاً غياب الدعم الأوتوماتيكي من الإنشطارات العالمية العمودية والأفقية ينبغي أن تعيدنا إلى منطقتنا نحن بالذات، أي أن نبحث عن السلام هنا، وأن نعثر على مصادر وجودنا في الشرق الأوسط، إن معطيات الأمس قد ولت مع عالم الأمس.

ولكيما نبلغ السلام لا بد من أن نعالج المشكلات الأساسية للشرق الأوسط بصورة واقعية:

١ - الإعتراف بعقم الحرب «العرب لا يستطيعون هزم اسرائيل عسكرياً واسرائيل لا تستطيع إملاء شروط السلام على العرب». إن الحرب عقيمة ولا ضامن للنصر الكلي ولا توازن للقوى بين الأطراف المتحاربة، ولا توازن للقوة بين القوى الدولية.

٢ - رغم انتهاء الحروب الباردة، وانهيار الإتحاد السوفييتي لا تزال هناك مصالح دولية كبيرة الوزن تلعب دوراً أساسياً في استقرار المنطقة ولن تتوافر لاسرائيل ولا لإعدائها الفرصة لتقويض هذه المصالح. ولقد جاءت حرب الخليج العام ١٩٩١ توكيداً آخر لهذه الحقيقة.

٣ - لا الحرب الكلية على غرار حرب ١٩٤٨ ولا الحرب ذات الأهداف العملياتية المحدودة مثل حرب يوم الغفران تستطيع قطعا إصابة أحد الطرفين بهزيمة كاملة.

إن زمن الحرب الشاملة قد ولى وينطبق هذا على كلتا القوتين الأعظم. إنهما تستطيعان تدمير بعضهما البعض، لا هزيمة بعضهما البعض، وجبروت الأسلحة الحديثة وتنامي تكاليف الأمن وتطور شبكة الإتصالات في عصر الفضاء كلها عوامل تؤكد على مفهوم الجنرال برودي «إن التصور المعتاد السائد في يومنا هذا مثلما كان من قبل ... ينشغل حصراً بالفوز بالحروب وكأن الحروب شيء يماثل المباريات الرياضية ولكن بالطبع مع قدر كبير من الجدية».

منذ حرب الأيام الستة واسرائيل تجادل حول مستقبل الأراضي المحتلة «غزة والضفة»، لكن المشكلة ليست الأراضي ولكن العلاقات المقبلة مع سكان هذه الأراضي. والذين يتحدثون عن إلحاق الأراضي إنما يقصدون في الواقع ضم شعبها بكل ما يترتب على ذلك من عواقب ديموغرافية وسياسية بعيدة الأمد على كامل المستقبل القومي لاسرائيل. أمَّا فيما يتعلق بمرتفعات الجولان ذات الكثافة السكانية الخفيفة فقد ضُمَّتْ، وعندما جاءت الإنتفاضة أبرزت الهوة التي تفصل بيننا وبينهم، فالنضال الحاد الذي يخوضه شباب الإنتفاضة دليل نابض على عقم الأمر الواقع.

لقد ولدت الحرب مع لبنان تغيراً جوهرياً في نوعية علاقات القوى بين اسرائيل والفلسطينيين إذ حصل الإنعطاف نتيجة القرار الخاطئ الذي اتخذته الحكومة الإسرائيلية المضللة بفعل طموحاتها هي بالذات لخلق تغيير استراتيجي في المنطقة إذ وجد الجيش الإسرائيلي نفسه مشتبكاً في معركة مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية، وغيرها من القوات غير النظامية وزج الجيش كامل طاقاته العملياتية في الهجوم «براً وبحراً وجواً» مستخدماً معدات متطورة وسياسة استراتيجية بدائية، وخلق ذلك الإنطباع بأن الحرب حرب بين أنداد.

وكانت النتائج :

١ – أغفلت الحكومة الإسرائيلية وقتذاك بقصر نظر مثير للعجب المزيّة الأخلاقية – المعنوية لجيش الدفاع الإسرائيلي.

٢ – أرغمت هذه الحرب منظمة التحرير الفلسطينية على التقهقر من لبنان إلا أنها لم تشطبها من المضمار القومي.

٣ – زرعت هذه الحرب بذور الإنتفاضة كما زرعت بذور اعتراف اسرائيل بالحاجة إلى المحادثات الثنائية.

٤ – في النتيجة الليكود هو الذي بدأ المفاوضات غير المباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية رغم انكاراته الكلامية الوعظية الواهية.

إنَّ عناد قيادة الليكود أدى إلى تعقيدات متشابكة، وجاءت الإنتفاضة لتعرض جيش الدفاع الإسرائيلي إلى مصاعب لا سابق لها. بعد ٢٦ سنة من انتصار اسرائيل في حرب فرضت عليها أرغمت البلاد على فرض حكم عسكري في المناطق حيث أصبحت اسرائيل تدير نظامين حكوميين متوازيين بنوعين متناقضين من القيم، بالإضافة إلى ذلك ورغم أن هدفنا هو وأد النشاطات الإرهابية فإن وجود الحكومة العسكرية ذاته يكفي لتوليد المشاعر السلبية.

في الحقيقة لا جدوى في الإبقاء على الأمر الواقع لاسرائيل ولا للفلسطينيين: فالفلسطينيون لن يهزموا اسرائيل والأعمال الإرهابية لن تطفئ الشعلة

الوطنية في اسرائيل، وبالمقابل فإنه ليست لاسرائيل مصالح قريبة وبعيدة في حكم الفلسطينيين أو النظر إليهم بمثابة رهائن حالة حرب، وهي حالة نود أن نضع لها حداً، إذن فإن الإبقاء على الوضع الحالي لا معنى له، وهكذا فإن الإعتراف بالحقيقة الصعبة معيار لنجاح عملية السلام بلا منتصرين ولا ضحايا، إن الحرب لا تحل أياً من المشكلات أما السلام فهو الحل.

الفصل الرابع
النظام الإقليمي

السلام بين اسرائيل وجيرانها العرب سيخلق البيئة الملائمة لإعادة تنظيم مؤسسات الشرق الأوسط بصورة أساسية، ومشكلة هذه المنطقة من العالم لا يمكن أن تحل على يد دولة منفردة أو حتى على مستوى ثنائي أو متعدد، إن التنظيم الإقليمي هو المفتاح إلى السلام والأمن ولسوف يعزز إشاعة الديمقراطية والتنمية الإقتصادية والنمو القومي، والإزدهار الفردي وهذا يتطلب ثورة في المفاهيم.

هدفنا النهائي هو خلق أسرة إقليمية من الأمم ذات سوق مشتركة، وهيئات مركزية مختارة وأن الحاجة إلى هذا الإطار الإقليمي تقوم على أربعة عوامل جوهرية:

* **الإستقرار السياسي** : يجب التصدي إلى خطر الأصولية التي تشق طريقها سريعاً وعميقاً في كل بلدٍ عربي في الشرق الأوسط مهددة بذلك السلام الإقليمي.

* **الإقتصاد** : إن ارتفاع مستوى المعيشة هو شرط مسبق لتخفيف التوترات في الشرق الأوسط، والمقاربة الإقليمية العملية هي الطريقة الوحيدة الكفيلة باستثمار القدرات الكامنة في المجالات كافة في هذه البقعة الثرية من العالم.

* **الأمن القومي** : إن السبيل الوحيد لضمان مستوى معقول من الأمن القومي في عصر الصواريخ والقدرات النووية هو إقامة نظام اقليمي للرقابة والرصد، لذلك وفي حال تنفيذ هذا النظام ،فإن مفهوم العمق الإستراتيجي لم يعد له معنى فقصف اسرائيل العام ١٩٨١ للمفاعل النووي العراقي وحرب الخليج أثبتت صحة هذه المقولة.

* **إشاعة الديمقراطية**: الشرق الأوسط يحتاج إلى الديمقراطية لأنها

هيئة رقابة تحرس السلام وتعمل على تبديد العوامل الكافية وراء التحريض الأصولي ولأنها تحتوي على طاقة التجديد وتحقيق الإزدهار والنمو الإقتصادي.

إن إرساء نظام اقليمي مرهون بنجاح عملية السلام الإسرائيلية - العربية وهو سيطور بموازاة سير عملية السلام.

الأمن الإقليمي :

إن بنية نظام الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط سوف تتمحور على نمطين من الإلتزامات المتبادلة:

* أمة / أمة ثنائية ومتعددة :

في هذه الحالة الترتيبات المباشرة ستكون في ذاتها ولذاتها بمثابة رادع للعدوان، والواجبات التي يفرضها نظام الأمن الإقليمي ستساعد على فرض السلام.

* أمة / منطقة :

إن المفهوم الجديد للأمن الإقليمي يختلف في جوانب عديدة مهمة عن نظام الأمن الجماعي الذي فشل في مواجهة العدوان الفاشي، وشلل الحلفاء عام ١٩٣٦ قوض معاهدة السلام والأحداث التي اعقبت ذلك هي نتيجة مباشرة لقصر النظر العربي، وهذه الأحداث تعلمنا ثلاثة دروس:

الدرس الأول: منع المباغتة التكتيكية.

الدرس الثاني: تنفيذ مراقبة روتينية وتقديم تقارير منتظمة خاصة بواسطة الأقمار الصناعية.

الدرس الثالث: في حالة انقطاع القنوات الدبلوماسية مؤقتاً خلال نشوب أزمة ينبغي أن تكون للمنطقة قوات تستطيع الرد على العدوان المفاجئ.

الإقتصاد الإقليمي :

إن مفهوم الإقتصاد الإقليمي ينطوي على خطوات تدريجية لإقامة جماعة

تشبه كثيراً الجماعة الأوروبية، والشرق الأوسط بحاجة اليوم إلى مقاربة على هذا الغرار، إننا بحاجة إلى شجاعة وفكر سبّاق وخيال في مواجهة العدو المشترك الذي هو الفقر أبو الأصولية، كما أن المنطقة التي تؤلف تجمعاً متنافراً من المستويات الإجتماعية - الإقتصادية ومستويات المعيشة والدخل الفردي، ولتذليل ذلك فإننا بحاجة إلى أن ننظر إلى المنطقة وكأنها مشدودة بأربعة أحزمة اقتصادية سياسية.

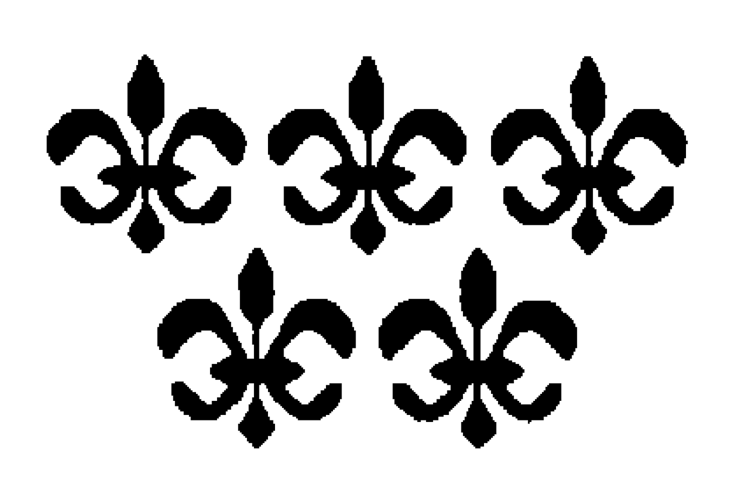
الحزام الأول: نزع السلاح «٦٠ مليار دولار نفقات التسلح في المنطقة سنوياً».

الحزام الثاني: المياه والتكنولوجيا الحيوية والحرب على الصحراء.

الحزام الثالث: الهياكل الإرتكازية للنقل والإتصالات.

الحزام الرابع: السياحة.

يجب على القادة في الشرق الأوسط الإنتقال من استراتيجية التفوق العسكري إلى التعاون الإقتصادي وبوسعهم اقتناء الأثر الذي عبدته أوروبا الغربية.



الفصل الخامس

أسلوب جديد في التفكير وصولا للأساس المناسب للأمن والإستقرار

خلال زيارته للقدس في تشرين الثاني ١٩٧٧ كان أنور السادات يأمل في كسر الحاجز النفسي للسلام، وفي الواقع فإن حواجز عديدة تداعت بقيام زعيم أكبر وأقوى دولة عربية بزيارة رسمية لاسرائيل، وكجزء من التسوية السلمية مع مصر انسحبت القوات الإسرائيلية إلى الحدود الدولية كما رسمتها حكومة الإنتداب البريطاني.

إن استيعاب السلام سيجبرنا على إعادة النظر في أساسيات سياستنا الدفاعية غير أنها ستكون الخطوة الأولى ولن تكون النهائية تحت أي ظرف من الظروف، غير أنه حتى بعد الإتفاقية وإجراءات تفرع السلام وفرض قيود الرقابة على التسليح، فإن الدول ستبقى بحاجة إلى الجيوش لأن وجود القوات هذه سيزيد من الشعور بالأمان في الدول منفردة ويقلل من مستوى الأمن الإقليمي، وعليه فإن المشكلة الإستراتيجية الأساسية التي يواجهها القادة في الشرق الأوسط الآن تكمن في كيفية تعزيز الأمن القومي بدون التقليل من الأمن الإقليمي، ومثل هذه القضية ستصبح أكثر حيوية من التقدم التكنولوجي الذي يشكل ضماناً للأمن الشخصي والقومي.

ولتوضيح هذه التطورات علينا أن نعيد التفكير ببعض التصورات التقليدية:

* العمق الإستراتيجي قد لا يحمل نفس المعنى عندما تسود علاقات السلام.
* القطاعات الإستراتيجية لا تحمل نفس القيمة في زمن السلم كما تكون بوقت الحرب.
* قد تتغير أهمية الحملات العسكرية والإعتبارات التكتيكية عندما يستبدل

الصراع المسلح بعلاقات صداقة قائمة على الإحترام المتبادل.

* في الماضي الجنود وحدهم يتعرضون للخطر أما الان فإن المناطق الآهلة بالسكان أضحت هي الهدف الرئيسي.

لذلك علينا في عصر الصواريخ والأقمار الصناعية العمل على التوصل لتصور جديد بشأن الأمن يقوم على أساس إقليمي:

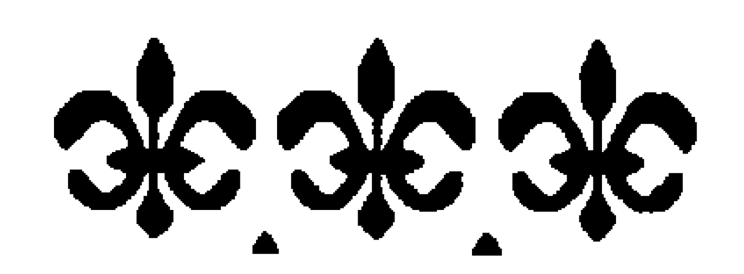
- علينا أن نغير افتراضاتنا طبقاً للمتغيرات التي فرضها النظام العالمي الجديد.

- التطورات التكنولوجية الحديثة ودورها الراهن، وإذا كانت الإستراتيجية الكلاسيكية تعتمد على ثلاث عناصر هي الوقت والمواقع والكم، فإن التكنولوجيا العسكرية الحديثة تشكك في أهمية العناصر الثلاث هذه.

- بعد اختفاء الإتحاد السوفييتي لم يعد هناك صراع عالمي في منطقة الشرق الأوسط ولم يعد هناك فائدة من الحرب التي لا تخلف وراءها سوى المزيد من الدمار والضحايا، وسباق التسلح لن يؤدي سوى إلى تدمير الإقتصاد وإشاعة الفوضى.

في الماضي كانت المشكلة الفلسطينية تشكل القضية المركزية في الصراع العربي الإسرائيلي، وهو أمر لم يعد موجوداً الآن فقد أصبحت القضية المركزية هي التهديد النووي.

إن الخطر الأعظم الذي نواجهه اليوم هو مزيج من الأسلحة النووية والصاروخية والإيديولوجية المتطرفة، ولمثل هذا النوع من المخاطر لا يوجد هناك من حل عسكري مقبول، وعليه فإنه يتوجب علينا أن ندرك حقيقة أن العصر الحديث لا يوفر لنا وسائل دفاع معقولة أفضل من الترتيبات الإقليمية واسعة النطاق وزيادة على ذلك فإن حقيقة أن الأمن القومي يعتمد في الأساس عل هذا الأمن الإقليمي.



الفصل السادس
من اقتصاد الحروب إلى اقتصاد السلام

منذ الإعتـرف باسـرائيل كـدولة العـام ١٩٤٨ خـاضت الدول العـربيـة ست حـروب معـها كما خـاضت الدول العـربيـة ست حـروب أخرى فـيمـا بينهـا، وشـهـدت المنطقة عدداً من حوادث العنف التي انتهكت جميع القوانين السياسية والأخلاقية:

هذه المواجـهـات أجـبـرت الحكومـات أن تفـرد مـبـالغ ضـخـمـة من الأمـوال والمصادر لتطور جيوشـها وبناء بنيتها التحتية والعسكرية وأن تستمر في سباق تسلح لا ينتهي، وكانت النتيجة خراب ودمار ودماء ومزيد من الفقر وظهور الأصولية التي راحت تهدد إلى حدٍ بعيد الإستقرار الإقليمي.

سباق التسلح :

٦٠ مليـون دولار سنوياً ثمن أسلحـة ومـعـدات حـربيـة وعلـى سـبـيل المثـال بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٩١ اشترت الدول العربية وايران أسلحة بما قيمته ١٨٠ مليار دولار، هذا الإسـتـثـمـار الضـخـم أوجبـتـه الثـورة التكنولوجـيـة، ولعـدم وجـود نهـاية لتكنولوجيا الأسلحة فإنه لا يوجد نهاية أيضاً لهدر الأموال.

فخلال عقد الثمانينات احتل الشرق الأوسط المرتبة الأولى بين مناطق العالم في انفاقه على الأسلحة والتسلح بالنسبة لإجمالي الإنتاج القومي.

* ايران والعراق ١٧٪.
* سورية ٥٠٪.
* اسرائيل ٢٦٪.
* الكويت ٥٪.

ولقـد بلغ مـجـمل الديون الوطنيـة الشـاملة في المنطقـة مـا نسـبـتـه ٣٥٪ من

إجمالي الصادرات وبعد عشر سنوات كانت النسبة قد بلغت ١١٣٪.

تكاليف الحروب الماضية :

- كلفة حرب لبنان بالنسبة لاسرائيل ٤ مليارات دولار.
- كلفة حرب الخليج ٦٧٦ مليار دولار.

تكاليف الحروب المستقبلية :

- كل يوم من تكلفة الحرب الإجمالية ستكلّف اسرائيل مالا يقل عن مليار دولار.
- نسبة الدمار ستزيد في الأهداف المختارة.
- الضربات المتبادلة على البنية التحتية المادية ستزيد.

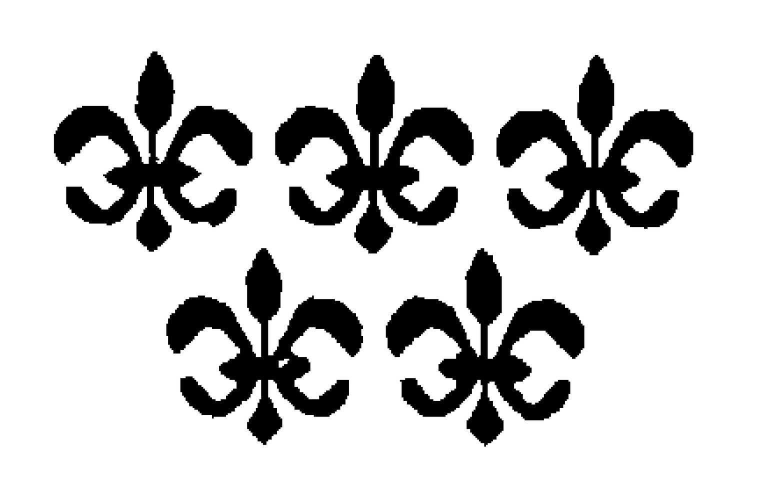
التكاليف غير المباشرة :

هناك دمار غير مباشر في الإقتصاديات الإقليمية وفي أرقام شركات التأمين الدولية وفي استثمارات التطوير الإقتصادي وفي تفاقم الفقر والعوز «دخل الفرد في الشرق الأوسط ١٢٠٠ دولار سنوياً – مستوى المعيشة منخفض – نسب الولادة مرتفعة – عمر الإنسان قصير».

كل ذلك سيدفع بالأصولية إلى الظهور الأكثر فعالية، وإذا كانت الحروب هي مصدر البؤس الإقليمي فإن الحل هو السلام، ولقد بينت التجربة أنه ستبرز صعوبات شتى عند الإنتقال من اقتصاد زمن الحرب إلى اقتصاد زمن السلم ولكن يمكن تجاوز الصعوبات هذه بمداخيل استثمارية داخلية وخارجية وبتخفيض مستوى سباق التسلح وبدفع البلدان إلى إقامة كتل اقتصادية متطورة.

إنّ الشرق الأوسط لم يتمتع، شأن اوروبا الشرقية، بوحدة سياسية واقتصادية، ومع ذلك فإن التعاون بين البلدان لما فيه خيرها سيميز الإنتقال الإقتصادي للشرق الأوسط من المواجهة إلى السلام.

كما أن الشرق الأوسط لن يستورد البطالة ويصدر الجوع، إن نشوء منظمة اقليمية لأمر محتوم هنا حيث بدأت الحضارة الغربية، إن المنظمة الإقليمية الآن تملي السياسة العالمية حيث السوق أهم من البلدان الفرادى، والسرعة أهم من الكمية، ومناخ التنافس أهم بكثير من الحدود القديمة.



الفصل السابع
مصادر الإستثمار والتمويل

لا يمكن إقامة شرق أوسط جديد على أساس سياسي فقط لأن الإضطرابات لن تنقص ولأن الأسباب التي تتضمنها هي أسباب اقتصادية وإجتماعية أكثر من كونها سياسية.

وبرغم أنَّ اسرائيل تدرك بصورة متزايدة فائدة القوة الإقتصادية الحديثة المقترنة بالقوة السياسية والعسكرية إلا أنَّ الجيران لم يستوعبوا الدروس حتى الآن.

إنَّ الخلاص لن يأتي من تسويات سياسية فارغة، والإقتصاد الحديث ليس حادثاً فرضياً، إنَّه نتاج الكد والإجتهاد والفكر الخلاق ولإقامة شرق أوسط جديد نحتاج إلى استثمارات دولية مكثفة كبيرة وإلى فرضيتين الأولى التكاليف الدفاعية العالية، والثانية الحدود المغلقة.

حالياً يدور الإقتصاد العالمي في محور تتعاقب فيه أسواق كبيرة وهي الأسواق الأميركية والأوروبية واليابانية ولكن الولايات المتحدة هي الدولة الأكثر قوة على الأرض:

* هي الدولة التي تمتلك الموجودات والخبرة والثقة والمكانة.
* وهي دولة معطاءة عندما تتقدم لإعادة التأهيل الإقتصادي.
* مشروع مارشال بعد الحرب الثانية شجع التأهيل الأوروبي وعزز مكانته.
* أميركا عرضت مساعدات جمة على روسيا بعد انهيار الإتحاد السوفييتي.
* وأميركا قدمت مساعدات لعدوتها السابقة اليابان لتحقيق شفاء اقتصادي.

ولكن الولايات المتحدة الآن تواجه متاعب اقتصادية جمة، لذلك لم تعد تستطيع المساهمة مالياً بصورة كبيرة من أجل تطوير الأراضي والدول الأخرى.

وأوروبا التي استعادت وضعها العالمي بعد قيام السوق المشتركة فقد أسست بنك الإستثمار الأوروبي الذي يخدم احتياجات الأسواق كافة حتى أن الفلسطينيين تسلموا العام ١٩٩٢ مساعدة أوروبية بلغت قيمتها ٩٠ مليوناً من الدولارات.

أما اليابان التي خبرت الآثار الناتجة عن استخدام الأسلحة النووية فقد شفيت اقتصادياً وراحت تزيد من حجم المساعدات الخارجية في ضوء تكاليف الدفاع المنخفضة في البلاد.

إنَّ لهذه الدول وللدول الأخرى المتطورة مصلحة سياسية واقتصادية عظيمة في الشرق الأوسط، وبرغم أنَّ الوقت لا يزال مبكراً جداً في الحكم، إلا أن الطاقة الكامنة للمنطقة الإقتصادية في الشرق الأوسط لا يمكن تجاهلها. بالمقابل فإن اميركا هي القائد في عملية السلام وأوروبا تلعب دوراً كبيراً في المفاوضات متعددة الأطراف، واليابان تظهر اهتماماً متزايداً في الشرق الأوسط.

في الوقت الحاضر لدى العالم أموال أكثر من الأفكار، والشرق الأوسط الجديد هو فكرة قد حان وقتها وتستطيع المؤسسات والشركات الكبيرة في العالم أن تساعدنا في تحقيق حلمنا وبمساعدتها لنا تكون قد ساعدت نفسها أيضاً.

وقيام شرق أوسط جديد متطور اقتصادياً ومستقر اجتماعياً وسياسياً سيكلف العالم أقل بكثير مما ستكلفه المواجهة السياسية العنيفة وهي المواجهة التي ستستدعي تدخل دول أخرى. وعليه فإن مهمتنا الإقليمية والدولية الكبيرة تتناغم وتنسجم مع الفرصة المؤقتة إذا ما استطعنا فقط أن نميز هذا الوقت التاريخي.



الفصل الثامن
الحــزام الأخضــر

إنّ وضع أولويات لاستـخـدام الميـاه هو عنصـر أسـاسي في السـيـاسـة الإقتصـادية، واستخدام المياه سوف يكون موضـوعاً سياسـياً رئيساً في منطقة الشرق الأوسط، وبما أن نقص المياه هـو الأكثر خطورة من الإفتقار للأرض، فإنه علينا البحث عن مصادر لتوفير المياه وذلك باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

المعرفة التكنولوجية فـتحت أيضاً ميـادين جديدة مثل البيولوجيا البحرية وتكنولوجيا التقنية الحيوية واستخدام العلوم التكنولوجية في أمور الزراعة.

إنّه لا يمكننا الإنتظار إلى ما لا نهاية:

* يجب نقل طاقاتنا الإبداعية إلى العلوم التطبيقية والتكنولوجيا للتغلب على الفقر والعوز.

* استـخـدام طريقـة الوراثة من أجل انتـاج كميـات كـافـيـة من النبـاتات والحيوانات.

* استخدام الأبحاث الأساسية والتطبيقية في الزراعة والتصحر.

* تنفيذ الشراكة التكنولوجية في أمور الزراعة وتربية الحيوان.

إن العمل من أجل صبغ الشرق الأوسط باللون الأخضر هو الوسيلة لضمان الغذاء الكافي.

«بيـئـة منصـفـة مـتـحـررة من الخـوف والقـمع»، من أجل ذلك يجب أن نبـعـد الصحراء عن الأرض ونبعد الملح عن الماء، والعنف عن السكان، بإمكاننا فعل ذلك بل يتوجب علينا ذلك.



الفصل التاسع
المياه الحية

منذ فجر التاريخ والصراع دائم حول ملكية واستخدام المياه خاصة في منطقة الشرق الأوسط وهي لا تزال تشغل ذلك في السياسات المعاصرة، فالعلاقات بين دول المنطقة كانت وما تزال تملى من قبل سياسة المياه.

هناك أربعة أسباب لافتقار المنطقة إلى المياه وهي:

* الظواهر الطبيعية.
* الزيادة السريعة في عدد السكان.
* الإستغلال الخاطئ للمياه.
* السياسة التي تفتقر إلى الترشيد المطلوب.

والطريقة الوحيدة لكسر هذه الدوائر المعيقة هي تغيير القيم الفكرية الأساسية وبناء بنية تحتية اقتصادية وترشيد سلوك الأجيال. مصر تعاني وسورية أيضاً حيث تشكل الحلقة الأضعف في المثلث الذي يشكل حوض دجلة والفرات مع كل من العراق وتركيا.

إن بلدان المنطقة يسيطر عليها جنون المشاريع التنموية التي تحتاج إلى الاستغلال الكامل لمياه الأنهار بهدف زيادة الإنتاج الغذائي ولو كان ذلك على حساب حقوق واحتياجات الدول المجاورة وعلى حساب نوعية المياه، والمأساة هنا أن مجموع ما يحدث يحمل في طياته مخاطر المواجهة العسكرية بين الدول.

إن نقص المياه لا يعمل على إثارة النزاع العربي - الإسرائيلي فحسب بل الحروب الأهلية كما هو حاصل في السودان، وبين مصر والسودان، وإذا لم تبرم اسرائيل السلام مع سورية ولبنان والأردن فإن حوضي اليرموك والأردن قد يصبحا مجدداً مصادر للأعمال العدائية الخطيرة.

وككل الحروب السياسية والإستراتيجية في عصرنا، فإن الحروب التي نشبت حول المياه لم تحل أياً من مشاكلها، فما من حرب قادرة على تغيير المعطيات الجغرافية، فالصحراء تغطي ٦٠٪ من اسرائيل و٧٠٪ من سورية و٨٥٪ من الأردن و٩٠٪ من مصر وعليه فإن النقص في المياه يحتاج إلى تغيير جذري في السياسة بين دول المنطقة وبما أن المياه ملك للمنطقة، فهذا دليل آخر على مدى الحاجة لإقامة نظام اقليمي وإلى إقامة هيئة اقليمية تشارك فيها الأطراف المعنية كافة.

إن الواقع يؤكد أنه ليس هناك من حاجة للإنتظار لإقامة نظام مياه اقليمي، وهنا فإن التسويات والإتفاقيات الثنائية المتعددة تمثل سلسلة من الإجراءات في قطاعين رئيسيين هما: نقل المياه من المناطق التي تحظى بوفرة منها إلى المناطق التي هي في أمس الحاجة ومن خلال تكنولوجيا تحلية المياه المالحة.

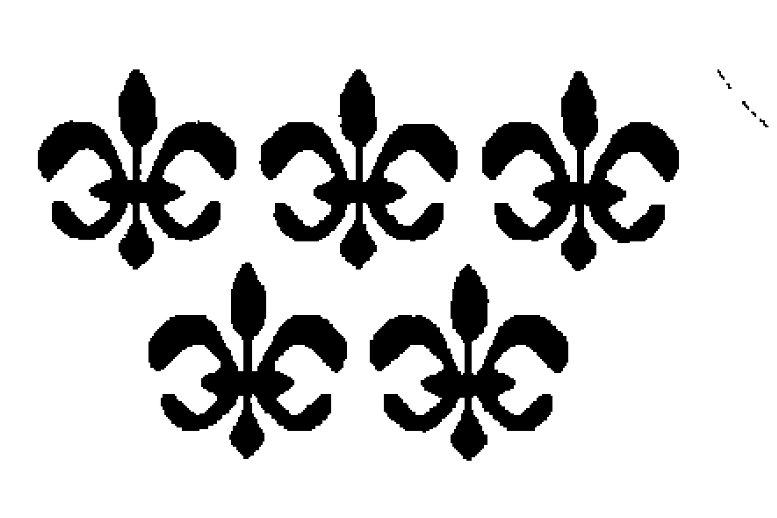
الفكرة بنقل المياه ليست جديدة ففي العام ١٩٨٧ وفي مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في واشنطن اقترحت تركيا بناء خط أنابيب السلام لنقل المياه إلى دول الشرق الأوسط، وطبقاً للخطة فإن المشروع يتكون من خطين وما يتفرع عنهما:

* **الخط الأول** : الشرقي ويمتد عبر سورية إلى الأردن – السعودية – الإمارات – وعمان.

* **الخط الثاني** : الغربي ينقل المياه إلى سورية واسرائيل والضفة والأردن ومن ثم السعودية.

وقتها رفضت الدول العربية اشراك اسرائيل في الخطة، ولهذا قررت تركيا البدء في خط الأنابيب الشرقي وما يزال المشروع في بداياته.

إن التقدم في عملية السلام يعني المضي قدماً في مشروع المياه لكن هناك عيباً كبيراً في المشروع وهو أن مدة تنفيذه ٢٠ عاماً.



الفصل العاشر
البنية التحتية للنقل والمواصلات

بالنسبة إلى الشرق الأوسط فإن الإنتقال من اقتصاد صراع إلى اقتصاد سلام سوف يعني حصر المصادر لتطوير بنية تحتية تلائم هذا العصر الجديد من السلام.

إنَّ بناء الطرق وتمديد خطوط السكك الحديدية وتحديد المسارات الجوية، وربط شبكات النقل وتحديث وسائل الإتصالات وتوفير النفط والماء في كل مكان وفقاً للإقتصاد وليس السياسة وإنتاج البضائع والخدمات عن طريق الكمبيوتر يفتح حياة جديدة في منطقة الشرق الأوسط. حيث أن هذا التعاون يحدث على ثلاثة مستويات، المستويان الأولان هدفهما تأمين علاقات طيبة مع البلدان المجاورة وإقامة مشاريع مشتركة مثل بناء قناة اسرائيلية – أردنية مشتركة تربط بين البحر الأحمر والبحر الميت، والمستوى الثالث الإستفادة من الفوائد الجغرافية الهائلة للشرق الأوسط وتبديل الحدود من حواجز إلى جسور.

* **طرق السكك الحديدية :** خط سكة حديدً الحجاز يمكن إعادة تشغيله في غضون ستة أشهر فقط وهذا فقط على سبيل المثال.

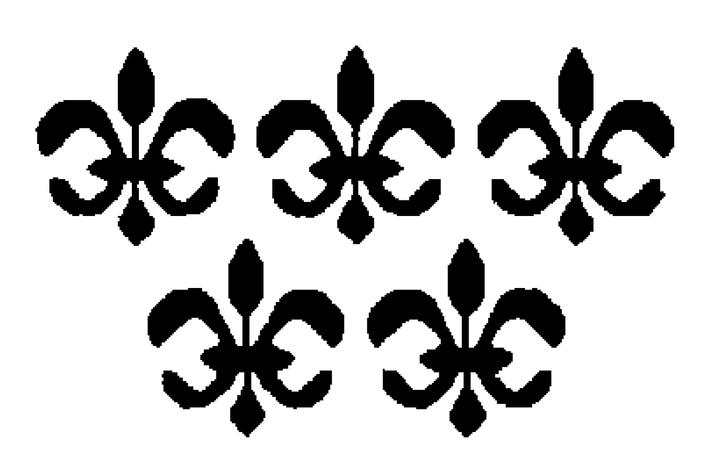
* **الطرق :** يوجد خطط لبناء ثلاث شبكات من الطرق السريعة وإحدى هذه الطرق سوف تخترق الشرق الأوسط من شمال افريقيا إلى اوروبا بمحاذاة البحر عبر مصر واسرائيل ولبنان وسورية وتركيا.

والطريق الثانية فستعبر الشرق الأوسط من شمال افريقيا إلى العراق والخليج العربي.

أما الشبكة الثالثة فهي جملة من الخطوط تربط المدن الرئيسة في اسرائيل والأردن وسورية ولبنان.

* **الموانئ** : جميع بلدان المنطقة سوف تمنح حرية الدخول إلى الموانئ الرئيسة على البحر المتوسط وعلى طول البحر الأحمر، ويمكن بناء موانئ وتوسيع القديم بالإضافة إلى إقامة مناطق تجارة حرة ومراكز تجارية وخدمات ترفيهية وإدارية وتسويقية.

* **القناة** : قناة البحر الأحمر- البحر الميت مشروع كبير سوف يفيد من بركات السلام وهو مشروع متعدد الأغراض تنموية اقتصادية تجارية - توليد الطاقة - استخراج الأملاح - التحلية - السياحة - تربية الأسماك ..الخ.



الفصل الحادي عشر
تطوير السياحة

تشكل السياحة أحد أهم المصادر الطبيعية في الشرق الأوسط المشمس الذي يعتبر بحق جنة السياحة، ولكن المشكلة الأساسية هنا هي العنف. حتى السبعينات كانت السياحة مصدراً رئيسياً للدخل سواء كان في لبنان أو مصر، والسلام والسياحة صنوان ويسيران معاً على طريق إزالة الخلافات والمصاعب.

وهناك عدة عوامل تساعد في اجتذاب السياح إلى الشرق الأوسط مثل:

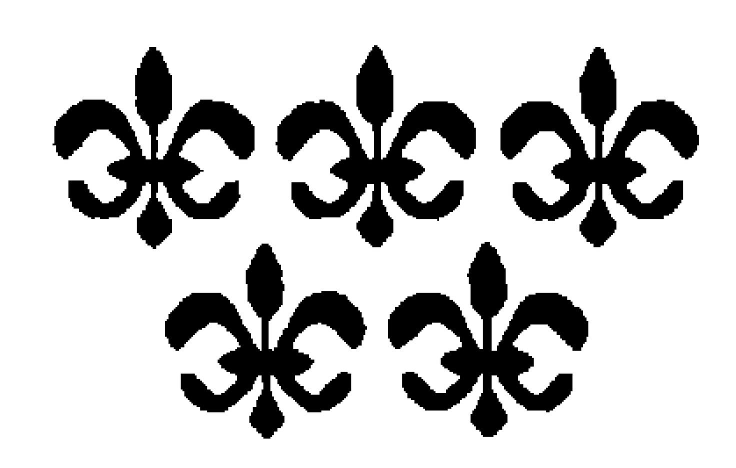
* الحدود المفتوحة.

* البنية التحتية لتطوير وسائل النقل وأدواته «القطارات - السيارات - وفي الجو والبحر».

* الحملات السياحية من خلال إقامة شركات دولية سياحية وتقديم تسهيلات.

* المواقع السياحية وإقامة القرى السياحية والفنادق الضخمة والمدن الترفيهية.

ويأتي في النهاية أن السلام والهدوء مطلبان أساسيان لإجتذاب السياح ورؤوس الأموال الإستثمارية وبالتالي لإنجاح السياحة وتطويرها.



الفصل الثاني عشر
عالـم الـغـد

الحقيقة أن مبادئ السلطة الإستبدادية لن يكتب لها الوجود في قلب عالم الغد. فعالم الغد، عالم أطفالنا وأحفادنا لن يحمل أي وجه شبه للعالم الذي تصوره لينين وحاول ستالين خلقه.

إن أبناء القرن الحادي والعشرين سيعملون على تحقيق أهدافهم في الرخاء الإجتماعي والعدالة، وعليه فسيكون للإقتصاد الوزن الأكبر أكثر من السياسة في تحديد وتنفيذ السياسات الدولية.

حتى نهاية القرن العشرين كان التصور العام للتاريخ يتمركز في النموذج الأوروبي للسياسات القومية والنابعة من عالم القيم والرموز الوطنية، أما الحقبة القادمة فستعتمد وبشكل متزايد على النموذج الآسيوي للسياسات القومية والنابع من قيم العالم الإقتصادية، والتي تقوم على المبدأ الأساسي المتعلق بالإستغلال الأمثل للمعرفة وصولاً إلى تحقيق الأرباح المتعاظمة، وبهذه الطريقة وحدها استطاعت اليابان وغيرها من الدول الآسيوية أن تصبح قوة اقتصادية عظمى بعد الحرب العالمية الثانية.

إن النجاح الإقتصادي الذي عايشته الدول الأسيوية هذه ينبع من قرارين استراتيجيين هما: اتمتة المصانع، وإدخال الكمبيوتر في صناعة الخدمات مع إتاحة فرص التعليم والتدريب على الكمبيوتر أمام المواطنين كافة.

من هذا كله يمكن أن تخرج بنتيجة مؤداها أن رخاء الأمة لم يعد يعتمد وبشكل رئيسي على مواردها الطبيعية ومساحتها الشاسعة، أو على تركيزها على الثروة، بل إن رخاء الأمة يأتي حصيلة تجميع المعرفة وهي الثروة الحقيقية على اعتاب القرن الحادي والعشرين أي عتبة العالم الجديد.

الفصل الثالث عشر
الكونفدرالية

تضافرت جغرافية المنطقة مع الحروب التي شهدتها وما تلا ذلك من تطورات لتضع المشكلة الفلسطينية في مصاف القضايا التي تبدو مستحيلة الحل.

خلال وما بعد الحرب العالمية الأولى كان الفلسطينيون ينظرون إلى أنفسهم كعرب وخلال فترة الإنتداب البريطاني تم تعريف الوجدان القومي الفلسطيني كجزء من الأمة العربية الأكبر، ولهذا لم يكن محض صدفة أن يختار الفلسطينيون شعار فلسطين عربية، وعندما حظوا بالدعم العربي قبل وأثناء حرب ١٩٤٨ حدث هذا استناداً إلى أسس وحدوية، وليس على أساس هوية قومية خاصة.

لقد أصبح الفلسطينيون شعباً عندما أرادوا ذلك وبعد أن أخذوا يتصرفون كجماعة قومية، أما العوامل التي أدت إلى مثل هذه الصحوة القومية لدى الفلسطينيين فتشكل موضع اهتمام للمؤرخين وعلماء الإجتماع. وعلى أية حال فإن العلاقة بين الهوية القومية هذه والمنطقة التي تسمى أرض اسرائيل هي علاقة معقدة، والمشكلة المعقدة تتطلب حلاً معقداً.

والواقع أن الحروب قادت إلى ديموغرافيات جديدة في المنطقة، وجلبت نسيجاً وطنياً جديداً لمناطق صغيرة مزدحمة بالسكان، والحروب لم تعمل سوى على مزيد من التعقيد لوضع عدائي موجود «أعمال عدائية وضحايا ودمار وخراب وفقدان أمن» كل ذلك جعل من الأمن القومي العامل الحاسم.

إن الحروب لم تحل أياً من المشاكل، فهل نلجأ إلى القوة لتسوية النزاعات التي عجزت القوة عن حلها حتى الآن؟ أم نبحث عن حل يقوم على التفاهم، حل عملي وبنّاء للصراعات الصغيرة التي أدت إلى الصراع الرئيسي؟

إن التناقض بين تطلعات اسرائيل للأمن، وأمل الشعب الفلسطيني في تحرير

أرضه المغتصبة لا يمكن حله من خلال المعادلة الجغرافية. اسرائيل بحاجة إلى العمق الإستراتيجي والفلسطينيون يطالبون بنفس الأرض التي تمثل هذا العمق.

إن الحل المؤقت المقترح - وهو الحكم الذاتي الذي يبدأ بغزة وأريحا يستهدف تغيير هذا الجو السياسي النفسي المتخم بالذكريات والتهديدات، ومع ذلك فأنا اعتقد أنه وبدون حدوث تقدم في حل المشكلة الفلسطينية فلن نستطيع حل الصراع العربي - الإسرائيلي، وما لم يتم حل الصراع هذا فإنه سيكون من الصعب إن لم يكن مستحيلاً بناء شرق أوسط جديد.

علينا أن نبدأ في التصارع مع العناصر الأساسية المكونة للمشكلة الفلسطينية وهي:

* **الحدود** : الحدود المستقبلية كانت وستظل الجانب المؤلم والشائك للقضية فالعديد من الفلسطينيين والإسرائيليين يرفضون المساومة على الحقوق التاريخية، لذلك فإن أي محاولة لترسيم الحدود قد تتحول إلى سبب لتجدد الصراع.

كما يتوجب علينا أن نفكر بأحد أكثر المصاعب تعقيداً في منطقتنا الدافئة وهي مشكلة المياه، فالمياه تجري في الأعماق بدون أن تكشف أماكن وجودها لواضعي الخرائط في الماضي أو المستقبل، وعليه فإن التقسيم الإقليمي يظل ذلك الأسلوب البسيط الذي يتعذر تمريره وصموده.

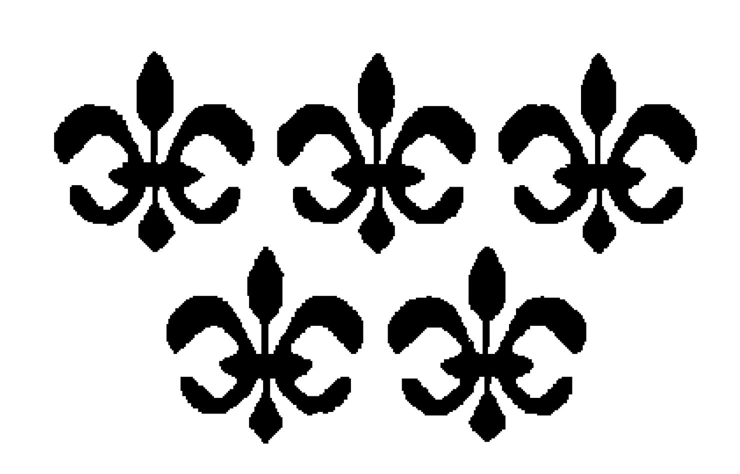
* **الهيكلية** : توجب طبيعة الحدود المرنة أن نوافق ليس على المتطلبات الأمنية الأساسية فحسب بل وعلى الهيكل السياسي الذي يتناسب تماماً وإمكانيات وأوجه القصور في المنطقة وهو الكونفدرالية السياسية الأردنية الفلسطينية وترتيب بناء أردني فلسطيني اسرائيلي خاص بالعلاقات الإقتصادية حيث سيكون المثلث الإقتصادي يمثل السقف والإطار الثنائي يمثل الأرضية. حسب وجهة نظري فإن الكونفدرالية هذه في شكلها الأكثر نضجاً بمثابة الحل الأمثل للأطراف الثلاثة - الأردنيين والإسرائيليين والفلسطينيين والتي ستسمح لهم بالعيش بسلام.

إن الكونفدرالية هي الهيكل الذي سيسمح للأردن والكيان الفلسطيني بالعيش معاً بسلام، وليس أمام الأردنيين والفلسطينيين من خيار سوى التعايش المشترك، فالشعبان من أصل واحد مما يعكس السمة التي توحدهما والإعلان عن ذلك من شأنه أن يكتسب دعماً جديداً وذلك بالرغم من المعارضة المبكرة، غير أنه ولمزيد من الفهم الصحيح لمعنى الكونفدرالية فإنه يتوجب مقارنتها بمفهوم الفيدرالية، فالفيدرالية هي مفهوم يستند فيه الهيكل السياسي على المركزية الجغرافية للسلطة السياسية وأنشطتها، والدولة الفيدرالية تتكون من دولة إقليمية تتمتع بالحكم الذاتي ولها مؤسسات تمثيلية مشكلة بذلك الرابطة الداخلية بين الدولة الفيدرالية والديمقراطية. ويمكن التفريق بين الدولة الفيدرالية والدولة العادية من خلال ثلاثة أمور هي:

« تمتع المناطق بدرجة عالية من صلاحيات الحكم الذاتي – وتوزيع الصلاحيات والسلطات على المناطق هذه بالتساوي – وتشكيل حكومة مركزية تمثل فيها المناطق بصورة عادلة».

والفرق بين الفيدرالية والكونفدرالية مرتبط بالوضع القانوني للقانون المحلي، ففي حالة الفيدرالية يكون للقانون الفيدرالي الأولوية في التطبيق على القانون المحلي أما في حالة الكونفدرالية فالعكس هو الصحيح.

* **الحكومة** : يظل لتشكيل الحكومة أهمية كذلك فيما يتعلق بخيار الكونفدرالية فهناك رابطة داخلية بين الكونفدرالية والنظام الديمقراطي على اعتبار أن السلطة في النظام غير الديمقراطي تكون مركزة في يد رأس النظام مما يفرض قيوداً كبيرة على الحكومة المحلية وممثليها.



الفصل الرابع عشر
مشكلة اللاجئين

ليس هناك من إنسان عاقل يستطيع أن يظل غير مبال بمأساة اللاجئين فهم يثيرون مشاعر الحزن والأسى، إن مأساتهم هي واحدة من نتائج استخدام العنف وهذه الحقيقة تؤكد حق اللاجئين في إعادة التأهيل.

ولاجئو حرب ١٩٤٨ هم من العرب الذين كانوا يعيشون في المناطق التي أصبحت تحت السيطرة الإسرائيلية وفروا من ديارهم، ومنذ ذلك الوقت ظلت اسرائيل والدول العربية في حالة خلاف حول المسؤولية عن خلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

ونحن بحاجة إلى ايجاد حل للمشكلة فهو ضروري سياسياً وإنسانياً وإلا سيبقى هؤلاء لاجئين يدفعون الثمن لوحدهم. يجب أن نتوصل إلى حل مشترك ومتفق عليه وعادل لمشكلة اللاجئين، حل يقبله العرب والإسرائيليون على حدٍ سواء.

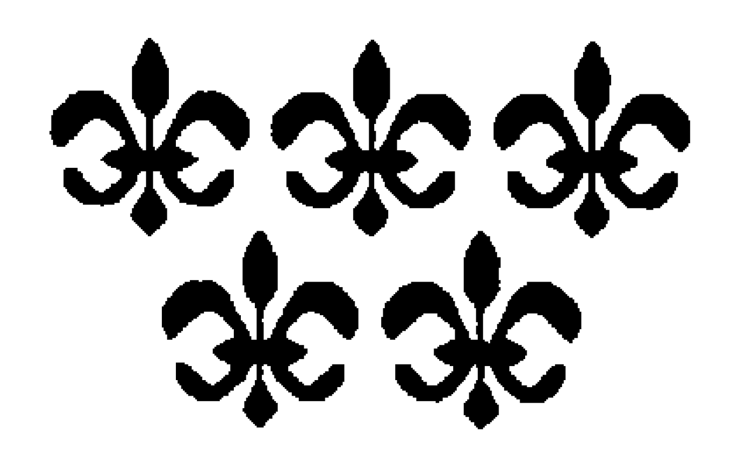
من الصعب جداً فصل مأساة اللاجئين الفلسطينيين عن المطالبة بحق العودة في ظروف تاريخية معقدة لذلك اقترح البحث عن الدرجة المثلى المقسمة إلى مراحل:

* مرحلة المفاوضات.
* المرحلة الإنتقالية.
* مرحلة التسوية الدائمة.

إن اسرائيل مدعوة للمساهمة والإشتراك عندها تؤكد حسن النية والأمل في المصالحة وفي الغالب فإن العرب على دراية بمشاكل اللاجئين والمرحلين والهجرة والبطالة والإستيعاب ويمكن إنشاء مركز أبحاث إقليمي لدراسة جميع النواحي المتعلقة بهذه المشاكل، ووضع استنتاجات واقتراح أفكار تناسب المنطقة.

ومركز أبحاث علمي من هذا النوع سوف يساعد بلا حدود في تحقيق عملية

السلام ووضع سياسة اقتصادية وإجتماعية على أساس إقليمي، عندها نستطيع أن نغسل أرض الصراع التي أغرقها الدم بمياه الحياة، نستطيع أن نزرع الورد في ميادين المعارك ونضع البسمات على شفاه الأطفال اليهود والعرب للعيش في سعادة وسلام.



كتاب

ما وراء السلام

بقلم : ريتشارد نيكسون

كتاب

ما وراء السلام

* **الكاتب** : الرئيس الأميركي السابق ريتشارد نيكسون.

* صدر الكتاب عن الأهلية للنشر والتوزيع - عمان عام ١٩٩٥.

* هذا الكتاب هو العاشر ضمن سلسلة أعمال بدأها المؤلف بكتاب الأزمات الستة عام ١٩٦٢، وتأتي أهمية الكتاب أنه جاء تحليلاً أكثر منه سرداً لما شهده العالم موزعاً بأقاليمه المتعددة من أحداث اتسم بها القرن الحالي حاملاً معه نبوءة لما قد تسفر عنه الأيام القادمة.

لقد تناولت فصول الكتاب طبيعة التحدي الأميركي لحقبة ما قبل السلام «حقبة الحرب الباردة» التي اشتعل فتيلها بعد أن وضعت الحرب الكونية أوزارها مصوراً إياها بصراع الخير ممثلاً بالرأسمالية الأميركية بما حملته من دفاع عن الحرية وغرس للمبادئ الروحية وبناء أعظم للإنسان بصفته غايتها ضد الشر ممثلاً بالشيوعية السوفيتية التي كبلت الإنسان في قيدها وتوغلت إلى دواخله فجردته من روحانيّاته، وأضافت عليه، فجعلته جسداً يسير في قبر مفتوح.

* يقع هذا الكتاب في ٢٧٠ صفحة موزعة على فصول ثلاثة.

* فهرس الكتاب

مقدمة المترجم

تناولت فصول الكتاب طبيعة التحدي الأميركي لحقبة ما قبل السلام ومرحلة ما بعد الحرب الباردة حيث يشير المؤلف إلى طبيعة الأواصر التي ربطت أو ستربط الولايات المتحدة بسائر أرجاء المعمورة مقسمة بنواحيها السياسية والإقتصادية، وهنا يسهب المؤلف في حديثه عن الشرق الأوسط حيث تتجلى وجهة نظره الأميركية حيال المنطقة وثرواتها ودياناتها وسياساتها على الشكل التالي:

* المؤلف لا يكترث لغير مصلحة بلاده مؤطرة بالشرعية.

* الوصول إلى نفط الخليج ينطوي في الحفاظ على السلام وتعزيز أمن المنطقة.

* يؤكد المؤلف أنه لو أرادت أميركا التخلص من صدام حسين فليس بالحصار وحده بل عليها إثارة الإضطرابات الداخلية ضده.

* كما يؤكد أن البلدان الإسلامية المنفتحة والمعتدلة تسعى إلى الجمع بين أفضليات الحضارتين الإسلامية والغربية.

* وغير هذا تمتلئ وجهة نظره الأميركية بمقولة أن اسرائيل تمثل الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط ويحيط بها شعوب تكن لها الضغينة، وهو يدرك أن جيران اسرائيل ليسوا ضد اليهود شعباً ولا ديانة بل هم ضد الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية.

وفي الفصل الثالث من الكتاب ينقب المؤلف عن مواطن القوة والضعف ومكامن الخير والشر والزوايا المورقة والنتنة للحياة الأميركية والقانون الأميركي والسياسة الأميركية وأخطاءها، وما قد يؤول إليه الحال لو ظنت أميركا نفسها سيدة العالم وتقاعست عن أي دور جديد لها.



الفصل الأول

التحدي الأميركي لما وراء السلام

في العام ١٩٧٦ التقيت ماوتسي تونغ وأجبته على سؤال طرحه بصعوبة علي لقد كان الرد «علينا أن نبحث عن السلام والعدل معاً» كان ردي كافياً في إطار الحرب الباردة فيما هو اليوم مجرد هدفٍ ضيق الآفاق للولايات المتحدة.

اليوم خسرت الشيوعية الحرب الباردة ونبذ العالم الماركسية - اللينية كعقيدة سياسية، وأزيل جدار برلين، ولم يعد معلقاً فوق رؤوسنا خطر حرب نووية وبعبارة أخرى تحقق وبطريقة جد واقعية السلام والعدالة. إذن نحن نعيش في عالم جديد فقد شهدت الأعوام الخمسة أربعة أحداث:

* انعتاق قرابة مائة مليون شخص في اوروبا الشرقية عام ١٩٨٩ من قيد أسر الشيوعية السوفيتية.

* خسارة العراق حرب الخليج في ربيع عام ١٩٩١.

* انهيار الشيوعية في الإتحاد السوفييتي في كانون الأول عام ١٩٩١.

* فشل الإشتراكية وتحرك كبير نحو الرأسمالية في دول مختلفة مثل السويد والصين والهند.

إن الولايات المتحدة تمتلك إقتصاديات ضخمة فبلادنا غنية بثرواتها لكننا فقراء في روحياتنا حتى بدا الأمر كأننا نعيش تجربة ما وضعه «أرنولد توينبي» في كتابه دراسة في التاريخ قبل ستين سنة مضت بليلة الروح الظلماء.

لقد نجمت مثل هذه الظاهرة عن الطريقة التي انتهت بها الحرب الباردة، فقد كانت حرب قيم وكلمات وأعصاب وأحياناً حربٌ بالنيابة، لم تطلق رصاصة واحدة ولكن الحرب الباردة انتهت على حين غرة. انتهت الحرب العالمية الثانية بالشعور بالمجد غير أن نهاية الحرب الباردة ما لم تسفر عن شيء سوى شعور التداعي عن

قمة المجد.

كان لزاماً أن تنتهي الشيوعية في نهاية المطاف لأنها كانت وستظل عقيدة خاطئة وقد وصف دالاس حال الشعب الروسي قبل أربعين سنة بقوله «أن الشعب الذي يفقه دقائق الذرة سيدرك في نهاية الأمر التصدعات القاتلة في الشيوعية».

لقد أثمرت مساعينا خلال الحرب الباردة عن منع تسلل الشيوعية إلى اوروبا الغربية وحجمت امتدادها إلى ما كان يسمى بالعالم الثالث، ووضع البناء الجبار للقوات الأميركية في عهد الرئيس ريغان عبئاً كبيراً على النظام السوفييتي أحال بينه وبين الفوز في سباق المنافسة التسليحية.

التاريخ يقول أنَّ فترة ما بعد الإنتصار العسكري تحمل معها الأعباء دوماً، ولم يكن الإنتصار في الحرب الباردة انتصاراً عسكرياً فحسب، بل هو انتصار فكري وسياسي وإقتصادي أيضاً، وعليه فإن الإعياء الذي أصابنا يتجذر في هذه الأبعاد جميعها.

إنَّ واقعية السلام هو أنه الأساس الأوحد الذي سيبنى عليه عالم مزدهر وعادل، وهذه غاية تدركها مساعي تحتاج من العزيمة والرؤية والصبر ما احتاجت إليه جهود التخلص من الشيوعية ومع ذلك يبقى هناك السقط المؤذي لخيبة الظن الأميركية لما بعد الحرب الباردة ألا وهو أنَّ الشعب الأميركي قد ضاق ذرعاً بقيادة العالم وهو راغب الآن في رفع ثقلها قبل غيره.

لقد اعتقد كثير من الأميركان أن انتصارنا في الحرب الباردة سيساعد على حل مشاكلنا المحلية لكن العكس قد حصل، غدونا نتحد ضد التحديات الخارجية ونتفرق ضد التحديات الداخلية وليس من قبيل الصدفة أن يتسلق الفاشيون إلى السلطة في اوروبا بسبب الكساد الذي تفاقم نتيجة سياستنا التجارية قصيرة النظر، ونحن لكي نواجه تحديات فترة ما بعد الحرب الباردة علينا حشد ذات مصادر الطاقة والتفاؤلية والهدف المشترك التي كنا نستجمعها ضد ملح غبار الحرب، ولنعمل معاً في الداخل والخارج في عهد لن يكون فيه عدونا لا الشيوعية ولا النازية بل تشاؤميتنا بالهزيمة الذاتية، فإذا أرادت أميركا أن تبقى أمة عظيمة

فإن ما تحتاجه اليوم هو رسالة ما وراء السلام. وخلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ارتقت الولايات المتحدة بنجاح إلى مستوى التحدي الخلقي الذي وضعه تشرشل، فبرغم أنَّ الحرب الباردة قد غدت منافسة عسكرية حامية، وتفجرت أحياناً على شكل حروب ساخنة في كوريا وفييتنام أو على شكل تدخلات صغيرة النطاق امتدت من خليج الخنازير إلى أفغانستان فإنها لم تأتِ بالقوى العظمى إلى حومة القتال الواحدة أحداها ضد الأخرى فيما تلاشى الخطر السوفييتي في نهاية المطاف في مواجهتين كادتا أن تفضيان إلى حرب نووية عالمية هما أزمة الصواريخ الكوبية وحرب يوم خيبر.

واليوم نحن سنحسن اللعب إذا ما استذكرنا المبادئ الأربعة التالية:

١ - ليس من غير السوق الحرة بقادرة على إطلاق كامل العنان لطاقات الشعوب الخلاقة بهدف دفع عملية التقدم أماماً.

٢ - إن على الولايات المتحدة أن تلعب دوراً ريادياً على المسرح العالمي.

٣ - لن تكون الولايات المتحدة قوية في العالم ما لم تكن قوية في الداخل.

٤ - عظمة أميركا نابعة من اقرارها بقوة أعظم منها.

كانت رسالتنا وعلى مدى خمس وأربعين سنة أن نكون الأقوى والأفضل لنهزم عدونا دون خوض غمار الحرب أما اليوم فعدونا من بيننا.

إن بناء عالم أكثر انفتاحاً لحقبة ما بعد السلام يعني أن نتجاوز المتعة العابرة والسعادة السطحية وطرح الشعارات ذات المنزلة الدنيوية وهو يعني ألاَّ نلحق بالسلطة لأجل السلطة، وأن نتحرك صوب سهل جديد للرسالة القومية، وهو مناداة لمجد جديد، وهو مجد السلام لا مجد الحرب، وهو مناداة لحمل أداة السلام لا لرفع سلاح الحرب.

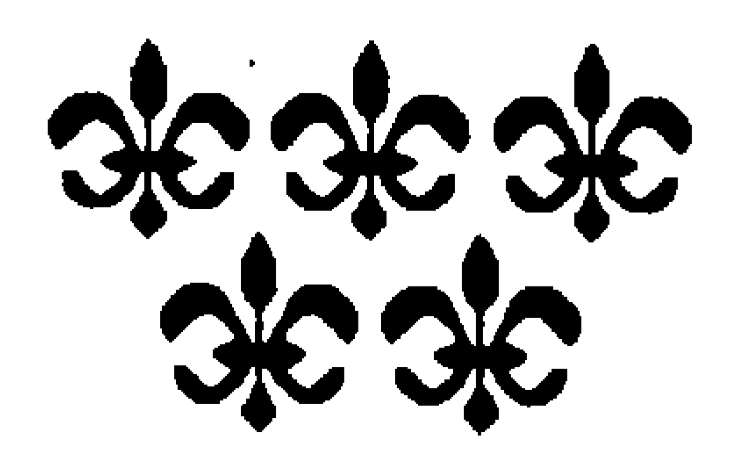
ما هو إذن وعد السلام؟

إنه يعني حياة أفضل للأميركان، أحسن عملاً وأرقى تعلماً وأقل جريمة وتعاطياً للمخدرات وأنظف بيئة وحكومة أكثر استجابة لشعبها، وأهم من هذا وذاك

حياة روحية أفضل نسمع منها الأمل عبر صوت العمل لكل مواطن لا من خلال العبارات البلاغية الطنانة.

نحن لا نستطيع القيادة بالنموذج الأميركي لوحده أو بالقوة لا غيرها بل من جمع أفضل عناصرهما، وأن إلهام المسيرة الطويلة الكبرى لأميركا إنما ستأتي من الداخل، من دواخل الشعب الصانع للأمة، ومن داخل روح الأمة نفسها.

نحن نقف على مفترق طرق كبيرة في التاريخ ننظر منه إلى الوراء إلى قرن غاص بالحروب والديكتاتورية ومنه نتطلع إلى الأمام إلى قرن بوسعنا أن نحيله سلاماً وحرية.



الفصل الثاني
عالم جديد لما بعد السلام

أميركا يجب أن تتولى القيادة :

لقد انهارت شيوعية الإتحاد السوفييتي، ولم تعد الصين عدوة لأميركا، وأمست اليابان قوة اقتصادية عظمى وخرجت أوروبا الغربية بزخم جديد صوب الوحدة الإقتصادية، وقدر ما يتعلق الأمر بالشعب الأميركي. أما وقد أضناه عبء قيادة عالم حر طيلة ثمان وأربعين سنة فهو توّاقٌ ليصب جل اهتماماته وكبير مصادره لمعالجة المشاكل الدائرة في عقر داره لا خارجه.

إنَّ الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي يؤهلها ما ظفرت به من اتحاد عناصر القوة العسكرية والإقتصادية لمد بساطها. فالمانيا واليابان تملكان الوريد أو الشريان الإقتصادي لكنهما افتقرتا إلى العضلة العسكرية. أما الصين وروسيا فقد ملكتا القوة العسكرية لكنهما افتقرتا إلى القاعدة الإقتصادية بالإضافة إلى أنَّ اميركا لا تملك تاريخاً بالمطالبات الإستعمارية على الدول الأخرى وفي الوقت نفسه فإنها تملك مصداقية العمل بصفة السمسار النزيه.

وهنا لا بد من التأكيد أن الفكرة الشعبية القائلة أن بوسع الأمم المتحدة أن تلعب دوراً أعظم في حل الصراعات الدولية لهي فكرة موهمة. إن مفهوم الجزم متعدد الأطراف الذي تقدم به بعض مساندي الأمم المتحدة لا يمكن وصفه إلاّ بدبلوماسية صياح الديكة الساذجة، فأنّى لهيئة جماعية أن تغدو فاعلة دون قيادة؟

لكن هذا القول لا يعني قط أنّه علينا أن نرمي الأمم المتحدة في مزبلة التاريخ، ولكن علينا أن نطوع الأمم المتحدة لدعم سياساتنا لا أن نكون مسؤولين عنها، فإن تعمل رئيساً إنما يعني أن تقبل تحمل المسؤولية المطلقة.

أما فكرة أنه ليس بوسع الولايات المتحدة أن تقدم المزيد حتى تقود إنما هي

فكرة خاطئة في مهدها أن اميركا تتربع على عرش الإقتصاد العالمي، وهي تنفق أكثر من ١٢.٧ ترليون دولار أميركي على الدفاع، وأكثر من ١.١ ترليون دولار على المساعدات الخارجية، وعليه فبوسعنا إعطاء ما بقي من الكم القليل الضروري لضمان أننا لن نخسر السلام الذي من أجله قدمنا الكثير.

في الحملة الإنتخابية الرئاسية للعام ١٩٩٢ ثمة لافتة في دائرة كلنتون الإنتخابية تقرأ «إنه الإقتصاد الأحمق» تلك كانت سياسة جيدة بيد أنها قيادة ضعيفة للدولة، نحن لن نظفر بسياسة مجلية قوية من دون سياسة خارجية أكثر حصانة، ولن نعيش حياة سلم والعالم تحرق الحرب أوصاله، ولن ننعم باقتصاد سليم واقتصاد العالم يعيش دور الرجل المريض.

واليوم وقد أشرف قرن العشرين أن يسدل ستاره فعلينا أن نتبنى سياسة مستقبلية واضحة المعالم تقوم على المبدئية العملية والواقعية الصريحة، وبالمقابل فقد أدرك العديد من المراقبين بعد إنهيار الشيوعية في الحرب الباردة وهزيمة المعتدي في حرب الخليج أننا سنشهد بداية نظام عالمي جديد، ولكنهم كانوا على خطأ، لقد قسمت الحرب الباردة العالم غير أن السلام لم يستطيع توحيده، وبدلاً من النظام يطل علينا اللانظام في العديد من مناطق العالم إذ أطبقت الولايات المتحدة ومعها الإتحاد السوفييتي الجفون على حروب صغيرة محتملة، لكن هذه الحروب بلغت من العدد ١٥٠ حرباً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية واليوم تدور رحى سبعة وسبعين صراعاً اشعلت فتيلها العداءات القبلية أو القومية أو العرقية أو الدينية.

يقول كين هولمز عن مصطلح التوسع ما يلي: «أن أميركا حين تسعى وراء مصالحها فإنها لا تخرق مبادئها فعلينا أن ندعم الديمقراطية خارج أميركا طالما أن من مصلحتنا أن نفعل ذلك وهو لحسن الحظ غالباً ما كان ذلك».

على سبيل المثال:

* كانت الحرب الكونية الأولى حرباً لإنهاء حرب.
* الحرب العالمية الثانية هي حرب لتمد أربع حريات عظيمة إلى العالم

أجمع.

* الحرب الباردة كانت حرباً لتوسيع رقعة الحرية والديمقراطية في العالم.

* حرب الخليج الهدف منها الحفاظ على استقلال الكويت والمضي قدماً برسالة الديمقراطية.

إنَّها ألبسة بزي البلاغة المثالية أطلقها الرؤساء الأميركان بدلاً من الدفاع عن المصالح الأميركية الحيوية في العالم.

روسيا وانتصار الحرية :

أكدَّ أحد مراقبي السياسة الخارجية الأميركية في صحيفة واشنطن بوست في عام ١٩٩٤ أنَّ روسيا لم تعد قوة عالمية ولن تكون هذا في أية فترة قادمة بيد أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن روسيا هي الدولة الوحيدة في العالم التي تملك من القوة ما يمكنها تدمير الولايات المتحدة، وعليه السبب تحديداً تبقى روسيا الشاغل الأول في أولويات السياسة الخارجية الأميركية.

إن قناعتنا الصائبة بنهاية الحرب الباردة يجب ألا تحجب عنا رؤية الحاجة الملحة في مخاطبة التحول الصعب والمتناقض في منطقة الإتحاد السوفييتي السابق، فقد يظل خطر بقايا الأمبراطورية السوفييتية المفتتة قائماً، فهل سيواصل يلتسين إعداد القيادات الروسية القادرة على تحقيق أهداف الثورة الروسية الثانية–الحرية الإقتصادية والسياسية في الداخل والسياسة الخارجية غير العدائية في الخارج؟

علينا أن نستقي من التاريخ العبر، فهذه هي التجربة الثانية مع التحول الروسي إلى الديمقراطية، وإنها لمعجزة سياسية أن ينجز هذا التحول الجديد من الديكتاتورية إلى الديمقراطية، ومن الإقتصاد الموجه إلى إقتصاد السوق الحرة على نحو سلمي نسبياً. وأيضاً علينا التفاوض مع القادة المنتخبين في الحكومة الروسية دون أن نتناسى إبقاء قنوات الإتصال مفتوحة مع أعضاء المعارضة.

وحيثما تعلق الأمر بالقوميين المتعصبين والشيوعيين – توخي الحذر في

الكيفية التي سنقول فيها معارضتنا لفلسفاتهم وأعمالهم، فلربما استطاع الغوغائيون الماقتون لنا توظيف قاعدتهم السياسية وبالتالي خلق رد فعل مضاد للولايات المتحدة.

كما وسيتوجب علينا في بنائنا سياسة جديدة مع روسيا الجديدة أن نبدأ البناء مدركين أن روسيا لم تخسر الحرب الباردة، لقد خسرها الشيوعيون نتيجة الضربة القاضية التي وجهتها القوى الديمقراطية في موسكو التي سحقت الإنقلاب الرجعي في آب عام ١٩٩١ ثم دفنت الإتحاد السوفييتي في كانون الأول.

يجادل بعض المراقبين أن من اللاحكمة المساعدة في بناء روسيا لأن موسكو قد تعاود الظهور ثانية كعدو استراتيجي يميني لا يساري هذه المرة حيث أن أية دولة قوية بوسعها أن تغدو خصماً محتملاً كنتيجة لأي تطور مفاجئ.

نحن لم نفعل هكذا حيال ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية وعلينا ألاّ نفعل ذلك حيال روسيا بعد انقضاء الحرب الباردة وثمة البعض ممن يقول أن من مصلحتنا شقاق روسيا وضعفها، هذا ليس من خياراتنا فروسيا ستغدو لا محالة قوة عظمى مرة ثانية، أما التساؤل الوحيد فهو: هل ستكون روسيا القوية صديقة أم عدوة للغرب؟ نحن من جانبنا سيتحتم علينا ألا نبخل بشئ لنجعل منها الصديقة.

إن اهتمامنا بروسيا قوية لا يعني قط أن دعماً للحكومة الروسية ينبغي أن يكون مطلقاً:

* لن نتردد لحظة لانتقاد أي سلوك روسي ندرك فيه أنه لا يتماشى مع مصالحنا أو مع السلام في العالم.

* سننتقد أي سلوك نراه غير مسؤول إذا ما لجأت إليه بريطانيا وفرنسا واليابان.

* يتوجب على الولايات المتحدة أن تنأى عن المحاباة حيثما كانت آرائنا غير متوافقة، بيد أن التصادم الحتمي مع آرائنا يتوجب النظر إليه خلافاً بين أصدقاء لا بين أعداء محتملين لا بد أن تحكم نفس هذه الحساسية سياساتنا حيال

باقي دول الإتحاد السوفييتي السابق.

وأوكرانيا أكثر هذه الدول حاجة إلى تلك السياسة وذلك من خلال «تخفيف حدة الخلافات وتشجيع الإصلاحات السياسية والإقتصادية وعدم تبني سياسات تهدد المصالح الأميركية».

إن الكثيرين يعتقدون أن روسيا أكبر وأعقد من أن تحكمها حكومة ديمقراطية، ونحن هنا لا نتحدث عن بولندا وتشيكوسلوفاكيا حيث نجحت نظرية المعالجة بالصدمة الكهربائية، فروسيا تضم ٣١ جمهورية أعلنت جميعها سيادتها وبعض من استقلاليتها عن موسكو وفيها ١٣٢ قومية مختلفة، وبعد ٧٥ سنة من الشيوعية لا يوجد في روسيا طبقة سوق حرة إدارية.

إنَّ على موسكو ما يلي:

* إعادة إحياء نظام زراعي يضمن عدم فساد المحصول قبل وصوله إلى أماكن تسويقه.

* إنقاذ الروبل الروسي.

* تحويل مشاريع الصناعة العسكرية الجبارة إلى مشاريع ذات أغراض مدنية دون أن تكون النتيجة بطالة مقنعة ربما انتهت إلى ثورة.

* ايجاد مأوى وعمل لمئات الآلاف من الجنود السوفييت العائدين من أوروبا ومناطق أخرى.

هنا على الولايات المتحدة أن تساهم في هذه العملية إذا ما أرادت روسيا أن تمنح نفسها فرصة النجاح فللولايات المتحدة مصلحة حيوية أن تغدو روسيا دولة ديمقراطية، وهنا علينا بالواقعية التأني، ونحن ندعم الديمقراطية في روسيا، على روسيا أن تجد طريقها الخاص في الحرية.

يجب أن تنصب مساعدتنا للدولة الروسية على قطاع العمل الخاص الناشئ حديثاً لا على المشاريع المهترئة المملوكة للدولة، وعلينا أن نحول الأموال على شكل قروض كما يجب تشجيع روسيا على تنفيذ الإصلاحات الإقتصادية وعليه يجب إعادة جدولة كامل الديون الروسية البالغة ٨٤ مليار دولار على مدى ١٥ عاماً،

وعلى حلفـائنـا في اوروبا واليـابان فـتـح أسـواقـهـم بشكل أوسـع أمـام الصـادرات الروسية، وكذلك زيادة الدعم الإقتصادي لها.

علينا أيضاً التأكيد على أهمية تطوير برامج التبادل الثقافي والتعليمي على نطاق أوسع في روسـيـا وتسـهـيل تبـادل الطلبـة والمدرسين والأفكار مـعنا، ليس هذا فحسب، بل أن الأمر يحتم زيادة الزيارات والإتصالات بين الكونغرس الأميركي، والبرلمان الروسي، بيـد أن الأكثـر أهمـيـة من جـمـيع أنواع المسـاعدات الحكومـيـة الخـارجـيـة هو الحـاجـة إلى زيادة إستـثـمار القطاع الخاص الغربي داخل روسـيـا، وهنا تُقَدِّم الصين النموذج الساطع.

أمـا المنفـعـة الأخـرى التـي يتـفـوق بهـا الإسـتـثـمـار الخـاص على المسـاعدة الحكومـيـة هي مـا تـأتي به المشـاريع الخـاصـة في أعـقـابهـا من الخـبـرة الإدارية والتـدريب والتكنولوجـيـا الحـديثة، وتلك عناصـر مـهـمـة للإنتـقـال من الشـيـوعيـة إلى اقتصاد السوق الحرة، فإذا ما أريد للقطاع الخاص في روسيا أن يقف على قدميه، فعلى الحكومة الروسية أن تنشئ شبكة قانونية هدفها دعم الإقتصاد الحر.

إنَّ السؤال الجوهري والأصعب على الإجابة هو:

أنه كان بوسع الرأسمالية الديمقراطية في روسيا أن تتنافس مع الرأسمالية الشيوعية في الصين، فإن فشلت في ذلك، فإنَّ روسيا ستعود إلى القادة الرجعيين ولكن لا بنهج الزعماء المتشددين في الصين وباقي طغاة العالم، وإنْ نجحت لامست الحرية الإقتصادية والسياسية درب المستقبل للقرن الحادي والعشرين.

آسيا والقرن الأميركي الجديد :

لا جرم أن اميـركـا كـانت العـامل الأكـثـر هيـمنة في مـعـادلة الحـرية لأوروبا الغربية عندمـا احرزت النصـر في كلتـا الحربيين العـالميـتين وتسلمـهـا زعامـة حلف شمـال الأطلسي «الناتو» أما في عـهد مـا بعد السـلام فليس أمـام أمـيركـا سـوى لعب دور مماثل في آسيا.

فخلال الخمسين عاماً المنصرمة قدمت أميركا مئات الآلوف من الضحايا في

مسرح المحيط الهادي إبان الحرب الكونية الثانية وحربي كوريا وفييتنام ومع أن الحرب الباردة قد ولى عهدها، ها هي التوترات تتصاعد في طول المنطقة وعرضها التي لو أهملت لجرت بأميركا إلى أتون صراعات أخرى في المستقبل.

وإذا لم تكن أعظم ثلاث قوات شرق آسيوية - روسيا والصين واليابان أعداء طبيعيين لنا فهي ليست بأصدقاء طبيعيين لنا، وإذ لا ترانا القوى الثلاث الكبار عدواً محتملاً فبوسعنا أن نؤدي دوراً فريداً لمصلحة الجميع في الحفاظ على السلام والإستقرار.

إن آسيا لهي أكثر مناطق العالم نشاطاً دون منازع، ولن تتخذ الأحداث الرئيسة في العقود التالية مكاناً لها في غيرها، وتجارتنا تفوق مع آسيا تجارتنا بنسبة ٥٠٪ إذن من المحبذ للغرب أن يرحب بنمو آسيا الإقتصادي، غير أن استقراراً سياسياً لم يرافق ولسوء الحظ هذا النمو الإقتصادي المدهش، كما أن غياب تحالف أمني رسمي مثل الناتو سوف يحدو بروسيا والصين واليابان إلى الدخول في نظام موازنة دقيق يرسم مستقبل المحيط الهادي، وليس غير أميركا من قوة عظيمة تملك الثقل السياسي والإقتصادي مع هذه القوى الثلاث وجيرانها الكثيرين من أجل توجيه علاقاتها في الإتجاه البناء.

ما من فرد ينكر بروز روسيا جديدة على الساحة بعد ختام الحرب الباردة، وهنا لا بد لنا أن نعترف أيضاً بصعود نجم يابان وصين جديدتين.

الولايات المتحدة واليابان : حلقتان منفصلتان لولوج القرن القادم :

تلوح اليابان لنا الصديق والخصم الأعظم في آسيا، لقد تقاسمنا أثناء الحرب الباردة المصلحة المشتركة بردع التغلغل السوفييتي في شرق آسيا، فأفضى هذا الحلف إلى إرساء قواعد النهوض، والنمو الإقتصادي الياباني عسير التصديق في العقود الخمسة الماضية، وبعد طي صفحة التهديد السوفييتي سيكون من شأن تنافسنا الإقتصادي ومصالحنا السياسية المتبادلة أن تسلط أعباء ثقيلة

على هذا التحالف.

إنّ أميركا تحتاج إلى نصب قواعد لها في اليابان للمحافظة على حضورها الذي من شأنه حماية مصالحها في شرق آسيا ولتسهيل التعاون الأمني الياباني-الأميركي.

ثم أن اليابان عديمة السلاح النووي ترغب بوجود أميركا العسكري ليس لحماية جزرها وحسب بل وكذلك لترسيخ الإستقرار في آسيا وبذلك تستطيع المحافظة على انفاقها العسكري لمستويات معقولة.

ثمة أصرة أو أواصر قوية تربط الإقتصادين الأميركي - الياباني بشدة، إذ لا يمكن أن يستمر ازدهار اليابان الإقتصادي دون السوق الأميركية، وإذا انتعشت الصادرات الأميركية إلى اليابان فالعكس صحيح أيضاً.

وإذا كان من الأمور عظيمة الأهمية أن تعزز أميركا واليابان شراكتهما فإنّ التوترات الأخيرة أفضت إلى توهين الروابط القوية بينهما، إذ يرى كارهو اليابان في اميركا أن ننفض أيدينا عن الإلتزام بالأمن الدفاعي لليابان، بينما يظن كارهو أميركا في اليابان أن اميركا مجتمع فاسد منحل ولا يجوز أن نعتبرها القدوة الإقتصادية أو السياسية لنا، ويعتقدون بضرورة قطع اليابان علاقاتها مع أميركا وتركها لشأنها، والحق أن مخاوف الأمن هي التي خففت يوماً هذه التوترات، أمّا اليوم وبعد رفع هذه القيود، أخذت الخلافات السياسية والإقتصادية تصيب النواحي الأمنية بعدواها، ويوم تتعاضد الأمم بشعور الصداقة لوجود عدو مشترك أمامها تراها تنزع إلى التناحر فيما بينها اليوم لم يعد أمامها ذاك العدو الذي وحّدَّ صفوفها في يوم من الأيام.

إنّ شعب اليابان نفسه منقسم الآراء حول العودة إلى العسكرة فاليابان هي البلد الوحيد الذي عانى التدمير الذي ألحقته به الأسلحة النووية لذلك فإن هذا الشعب يدرك أنّ أي آمال بإصلاح العلاقات مع الجيران سوف تذهب أدراج الرياح إذا تبنت اليابان سياسة خارجية أكثر عدائية.

لم تعد اليابان قزماً عسكرياً «إذ تحملت ٥٠٪ من تكاليف إقامة القوات

الأميركية على أراضيها، وطورت قوة دفاع قوامها ٢٤٠ ألف رجل لحماية إقليمها، وعملت على بناء بحرية قوية لضمان أمن سواحلها من التهديدات العدوانية وهي أن تنفق ١٪ من إجمالي إنتاجها القومي على الدفاع فإنما تنفق نفس المبلغ الذي ينفقه كثير من حلفائنا في اوروبا الغربية، وذلك عائد إلى إقتصادها الجبار.

إنه ليس من المجدي أن تزيد اليابان ميزانيتها الدفاعية بيد أن على زعمائها السياسيين زيادة معونتهم الخارجية بسخاء كي تساوي نسبة كلفة أمنهم القومي، نظيرتها الأميركية من إجمالي الإنتاج القومي.

أما بالنسبة للعلاقات اليابانية الروسية فإنه يمثل رفض روسيا إعادة جزر اليابان الشمالية الأربع التي احتلها ستالين مع نهاية الحرب العالمية الثانية العائق الرئيس أمام زيادة اليابان معونتها لروسيا إذ ينبغي على روسيا إعادة هذه الجزر لليابان بلا شروط، لكنها الحماقة السياسية والإستراتيجية لو اشرطت اليابان معونتها لروسيا باستعادتها جزرها.

إن استقرار الشرق الأوسط يجسد ميداناً آخر لمصالح اليابان الحيوية وهنا ينبغي عليها الصيرورة المعاون الأكبر للدول العربية وهي تسعى للسلام مع اسرائيل بعد ٤٥ عاماً من الحرب، وإن كان بمقدور أميركا أن تواصل مشوارها من دون نفط الخليج العربي فليست اليابان بقادرة.

يجب القول أن اليابان لن تحصل على مقعد بين قوى العالم الرائدة ما لم تنشئ لنفسها طرقاً لإستخدام قوتها الإقتصادية لتحقيق تأثير سياسي، وثمة فرصة مثالية لها في الدعم المالي والدبلوماسي لعملية السلام العربي – الإسرائيلي وفرصة أحلى لها في المشاركة في عمليات حفظ السلام في آسيا وأماكن أخرى. إنَّ أكثر القضايا إجهاداً في العلاقات الأميركية – اليابانية هي الإقتصادية إذ أن من المستحيل حشد الدعم الداخلي في كلا البلدين تحت مظلة علاقات الأمن الأميركي–الياباني ما لم نكن قادرين على تخفيف التوترات التجارية.

إن التجارة المدارة هي المصطلح الأميركي لحل مشاكلنا الإقتصادية مع اليابان، وإذا كان هذا المصطلح مجند شعبياً فهو لأميركا الكارثة بعينها حيث

ستنال اليابان قصب السبق على أميركا التي تعادي فيها الحكومة قطاع الأعمال غالباً.

في العام ١٩٥٣ تحدثتُ إلى الجمعية اليابانية الأميركية في طوكيو قائلاً أن التعاون بين أميركا واليابان أمر أساسي لإطلاق بشائر السلام في المحيط الهادي وها هي اليوم عبارتي تثبت صحتها أكثر، ذلك أن اليابان ستغدو قوة رئيسة في العالم وستشارك في الإستقرار الإقليمي بشكل فعال وأيضاً في إنعاش الإقتصاد العالمي لجعل القرن الحادي والعشرين في آسيا قرن سلام وحرية وازدهار.

الصين : أعظمها جميعاً

قبل قرنين من الزمن قال نابليون «الصين بداخلها يهجع عملاق نائم، اتركوه نائماً فلو فاق لسير العالم بيديه» فها هو العملاق قد صحا وباشر يسير العالم.

لقد أمست الصين أسرع بلد في العالم من ناحية النمو الإقتصادي في هذا العقد ويمكنها أن تصبح أعظم قوة اقتصادية عظمى في القرن المقبل ذلك أنها انتقلت في السنين ٤٥ الفائتة من كونها مجتمع زراعي متخلف إلى عملاق اقتصادي متنام ومتطور، ونسبة النمو لديها اليوم تبلغ ١٤٪ وهي أعلى نسبة بين بلدان العالم الرئيسة، وتخطت حتى المانيا التي هي أكبر ثالث اقتصاد في العالم بعد اميركا واليابان، ويشتمل ٤٠٪ من اقتصادها على التجارة، أي أكثر مما عليه في اليابان وأميركا والهند، وتذهب ٣٠٪ من تجارتها إلى أميركا، حتى استثمارها الأجنبي فقد طفر إلى ١٧١٪ من كانون الثاني إلى ايلول في العام ١٩٩٣.

لعل ثمة من يقف ليقول بانتفاء الحاجة بعد لعلاقة وثيقة العرى بالصين ما دام خطر التهديد العدواني السوفييتي قد تلاشى إلا أن الوجه الآخر من تملك العملة يكشف أن الصين نفسها لم تعد لها حاجة لاميركا لحمايتها من أي عدوان سوفييتي محتمل.

لقد أطلّت الصين بمثابة ثالث قوة عسكرية واقتصادية في العالم وهي تنعم بالقوة التي تكفل لها دور رئيس في الصراعات الإقليمية في جنوب شرقي آسيا

والشرق الأوسط والخليج العربي، وهي البلد الوحيد القادر على كبح جماح برنامج كوريا الشمالية النووي المشؤوم ليس حرياً بنا التقليل من قدرة الصين على إفشال مصالحنا في العالم لو أمست علاقاتنا عدائية لا تعاونية ولكن نحن من يملك النفوذ لأن الصين بحاجة إلى تعاون أميركا الإقتصادي وعليها احترام منعتنا العسكرية من هنا ينبغي استثمار هذا النفوذ في حث الصين على اتخاذ سياسات بناءة.

إنَّ معظم الأميركيين يصفقون للصينيين على سياسات بلادهم في السوق الحرة ولكنهم ينتقدون الحكومة التي تواصل إستنكارها منح الحرية السياسية للشعب الصيني، فالحرية في طبعها معدية لأن الحرية الإقتصادية توصل إلى الحرية السياسية، ولعل من السخرية أن يعارض اليوم كثير من الخبراء الليبراليين في أميركا الذين ساندوا إنفتاحاً على الصين العام ١٩٧٢ توثيق العلاقات الأميركية - الصينية لمجرد إنكار الصين للحرية السياسية وانتهاكها حقوق الإنسان ولكنه في الوقت نفسه علينا أن نشجب بشدة انتهاكات الصين لحقوق الإنسان كلما استطعنا لذلك سبيلاً دون معاقبة قادة الصين عن طريق تقليص وتقييد تعاملنا الإقتصادي معها لأنَّ ذلك لن يخدم المصالح بعيدة المدى للصينيين المتطلعين للحرية السياسية.

قد يكون من الصواب إنتقاد الصين لدعمها إنتشار التسلح عن طريق بيعها الأسلحة للدول ولكن أميركا نفسها تبيع الأسلحة أيضاً وبكميات أكبر، إن الطريقة الوحيدة الناجعة للحد من هذا الإنتشار التسليحي إنما تكمن في تقليص مبيعات الأسلحة عبر العالم كله بما في ذلك مبيعاتنا نحن.

لقد تقاربت الصين وأميركا في عهد الحرب الباردة بعلاقة أثارتها مخاوف الحرب، أمَّا بعد السلام فحاجتنا هي الحوافز الإقتصادية التي من شأنها أن تساعد على تعاضدنا تحت راية آمالنا المشتركة.

فيتنام وكوبا وكوريا الشمالية : الباب المغلق أم الباب المفتوح ؟

ترتبط دروس الصين بشكل مباشر بما يجب أن تكون عليه سياستنا تجاه الدول الشيوعية المتعصبة الثلاث فيتنام وكوبا وكوريا الشمالية وسياستنا هي الإنفتاح.

لقد ظلت كوريا الشمالية تخلق تهديداً فعالاً خطيراً ليس على كوريا الجنوبية وحدها بل وعلى السلام والأمن في الشريط الهادي وإلى أن تتوقف عن كونها مصدر تهديد ينبغي علينا أن نواصل معاملتنا لها كدولة منبوذة لا يزال قادتها يصرون على جعلها كذلك.

وتتشابه فيتنام وكوبا مع كوريا الشمالية باستمرار خضوعهما لحكم نظامين شيوعيين قمعيين، فبينهما تفصل فروقاً شاسعة، غير أن كليهما لا يشكلان تهديداً فعلياً للسلام العالمي.

انطلق زعماء فيتنام ينقلون طاقات البلد الإستثنائية من طريق العدوان الخارجي إلى ميدان التنمية الداخلية، وهم كشأن زعماء الصين يمسكون بزمام السيطرة السياسية ويفتحون اقتصادهم أمام قوى السوق، فكانت النتيجة صعود فيتنام إلى عتبة القوى الإقتصادية، وفي كوبا وعلى النقيض من ذلك لا يزال كاسترو يترنم بألفاظ الثورة العالمية لا غير، بيد أن سياسته الإقتصادية الستالينية حطمت بلده أما ومن دون الإتكاء على معونات كفلائه السوفييت لم يعد لديه ما يكفي من مصادر ليسلط تهديداً خارجياً جديداً.

أما السؤال الذي يطرح نفسه أمامنا في قضيتي كوبا وفيتنام فهو كيف لنا أن نراعي وعلى أفضل نحو مصالحنا، ومصالح شعبي هذين البلدين، ومصالح شعوب المجتمع الدولي ... أسبيلنا لذلك الباب المغلق أم الباب المفتوح؟

- **فيتنام** : تقدم فيتنام من بين الدولتين الخيار الأسهل ولكن لا الضغوط الإقتصادية ولا الدبلوماسية بقادرة على زحزحتها من مكانها قيد أنملة لذلك مرة أخرى يبرز النموذج الصيني هنا «علينا الفصل بين طبيعة علاقاتنا السياسية وبين

علاقاتنا الإقتصادية مع فيتنام، لندع كل واحدة تسير في مجراها وبمرساها» ولكن علينا رفع الحظر التجاري عن هانوي وبذل جهود حقيقية لتشجيع الإستثمار في فيتنام وجذبها أكثر إلى صومعة الإقتصاد الكوني، ليس لمساعدة النظام الحالي بل لدعم قوى التغيير.

- **كوبا** : إنَّ معظم جهودنا المبذولة الإبقاء على الحصار الإقتصادي هو بعيد المدى والهدف وضع نهاية عاجلة لنظام كاسترو الوحشي التخريبي خاصة بعد توقف سيول الإعانات الإقتصادية السوفييتية.

هنا توجد حقيقة مجردة وهي أن الخط المتشدد ضد كاسترو قد فشل في الإطاحة به حتى بعد مرور ٣٥ سنة على تبنيه - ولذا حان الوقت لتحويل مسار سياساتنا من ايذاء حكومة كوبا إلى مساعدة شعبها فالشعب الكوبي بائس فقير يحتاج إلى أساسيات الحياة اليومية وإلى الحرية.

- **آسيا** : إن آسيا سرعان ما ستصبح أضخم سوق لبضائعنا وستشكل أكبر هاجس لصناع السياسة في واشنطن وأرجح ساحة لممارسة قوة أميركا الدبلوماسية وحتى العسكرية، ولو آثرت اميركا أن تلعب دوراً بناء في آسيا فليسعد أفراد الشعب الأميركي بدورهم الجديد كأعضاء في الأسرة الهادية، وفي هذه الحالة يتوجب علينا أن نتغلب على خوفنا من قوة آسيا الحديثة للقرن الحادي والعشرين، إذ أن ٣,٥ مليار نسمة من مجموع ٦,٢ مليار نسمة سنة ٢٠٠٠ وهو عدد سكان العالم سيكونون من آسيا اولئك سينتجون ما يزيد على نصف سلع العالم.

بناء جسور جديدة مع العالم الإسلامي :

لمحت اميركا الشرق الأوسط والخليج العربي أيام الحرب الباردة من بصيص ضياء بعثت به صورتان مشوهتان:

- الصراع بين العرب واسرائيل.
- تهديد الأصولية الإسلامية.

لقد زرعت مصالحنا الحيوية متجسدة بحماية دولة اسرائيل ومقاومة الإرهابيين المتطرفين انطباعاً فاعلاً عن العالم الإسلامي كأنه كشكول من العرب المعتوهين غير حليقي الذقون، والفرس المتعصبين سليلي القرون الوسطى وغير ذلك هو أسرة شديدة التفاوت قوامها ٨٥٠ مليون نسمة موزعون على ١٩٠ جماعة عرقية تسكن في ٧٣ بلداً حول العالم وتسيطر هذه البلدان على معظم نفط العالم وتمتلك كثيراً من أقوى الجيوش بل وستحوز في القرن التالي على قوة تجارية استثنائية أيضاً.

من هنا لا يجب أن نكف عن تعهداتنا لإسرائيل في عهد ما بعد السلام، وبالتالي إن انكبينا على صياغة سياسية جديدة تجاه المسلمين لعهد جديد، علينا أن نتعلم أن ننظر إلى العالم الإسلامي ليس باعتباره قوة موحدة وجيوسياسية راديكالية قائمة على مواجهة الغرب، بل باعتباره تجمعاً حضارياً وعرقياً متعدداً مستنداً إلى ايمان بالإسلام ترثه فتن سياسية.

لقد ازهقت الحروب والهجمات الإرهابية في هذه المنطقة أرواح ما يزيد عن ١,٤ مليون شخص منذ العام ١٩٨٠ وخلال السنوات ٤٥ الماضية خاضت اسرائيل وجيرانها العرب خمسة حروب سقطت في ساحها ما يربو على مئة ألف شخص وعليه فقد:

* انفقت اسرائيل وجيرانها مصر والأردن وسورية ١١ مليار دولار للأغراض الدفاعية في العام ١٩٩٢ لوحده.

* قدمت اميركا في نفس السنة ١,٨ مليار دولار على شكل مساعدة عسكرية و١,٢ مليار دولار على شكل مساعدة اقتصادية لاسرائيل.

* قدمت أميركا في العام نفسه ١,٣ مليار دولار مساعدات عسكرية وحوالي ٩٠٠ مليون دولار مساعدات اقتصادية للعرب جيران اسرائيل.

إنَّ عسكرة المنطقة لا تجد تسويغها في مسلتزمات الصراع العربي-الإسرائيلي فالتجارب تشهد أن:

- سورية تدخلت في الأردن عام ١٩٧٠.

- العراق غزا ايران عام ١٩٨٠ والكويت عام ١٩٩٠.
- ليبيا غزت تشاد عام ١٩٨٠.
- سورية أرسلت قوات إلى لبنان سنة ١٩٧٦.
- انغمست اليمن الشمالي والجنوبي في حرب أهلية عشر سنوات قبل توحيدهما.

- سعت ايران إلى تدمير الحكومات الديمقراطية من خلال تمويل الجماعات الإرهابية في لبنان والجزائر والمغرب وتونس والسودان. لقد كان لهذه الصراعات أن تحدث حتى في غياب الحرب الباردة أو حتى في غياب الصراع العربي-الإسرائيلي، وما أظن أن السلام بين العرب واسرائيل سيضع نهاية للنزاع بين دول المسلمين في منطقة الشرق الأوسط.

إن للغرب مصلحة حيوية في الإبقاء على وصوله إلى نفط الخليج العربي فأوروبا تعتمد بما يزيد على ٧٥٪ واليابان على ٩٠٪ من حاجتها للنفط، ومع أن اميركا لا تحتاج لغير ٦٪ من هذا النفط فإن تأثير توقف تدفقه إليها يعني شل الصناعة الأميركية، وهو يعني أشد الضرر بصناعات حلفائنا في أوروبا الغربية واليابان، ومن هنا تنبع أهمية المحافظة على قدرتنا في الدفاع عن أصدقائنا في منطقة الخليج العربي.

للولايات المتحدة أيضاً مصلحة كبرى في المحافظة على وجود اسرائيل وأمنها للأسباب التالية:

* نحن واسرائيل حليفين طبيعيين عاديين، بل أن لدينا التزاماً اخلاقياً معها هو أسمى من أية اتفاقية أمنية، ولا يمكن لنا أن نترك اسرائيل تغرق في الوحل.
* اسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط.
* اسرائيل محاطة ببلدان صممت على تدميرها.
* اسرائيل ملاذ ملايين العائلات التي قاست أهوال الإحتراقات الجماعية الشنيعة.

أما عمق التزامنا بها فيتجلى في حقيقة تقديم اميركا لاسرائيل منذ اعترافنا

بها ٤٠ مليار دولار على شكل مساعدات عسكرية واقتصادية، ثم جاءت حقيقة اعتراف الحكومات العربية أخيراً بوجود اسرائيل يجسد دليلاً على الإعتراف العربي بأن التزامنا ببقاء اسرائيل ركن أساسي في سياستنا الخارجية لن يتغير.

الحق أن أخطر تهديداً لمصالحنا الحيوية في منطقة الخليج العربي ينطلق من الأنظمة الراديكالية في العراق وايران وسورية والسودان وليبيا وكذلك من المنظمات الإرهابية التي تدعمها تلك البلدان بداخل وخارج المنطقة.

واليوم نجد على طول العالم الإسلامي وعرضه حركات أصولية متسارعة النمو يبدو أعضائها موالين لبلدانهم، بيد أن ولاءهم الأول ينحو صوب دين الجماعات الإسلامية الأصولية المتطرفة الذي تعود جذوره إلى ايران.

وخير من لنا به سبيلاً لاحتواء التهديدات هي تمتين علاقاتنا مع القادة المدركين لمسؤولياتهم أمثال الحسن الثاني ملك المغرب وحسني مبارك والملك فهد والرئيس سوهارتو، ولعل أحد البلدان الإسلامية التي تستحق أن تكون شريكاً كاملاً لاميركا هو تركيا الذي حقق بروزها الأخير كلاعب دبلوماسي رئيسي في منطقة الخليج تطوراً ايجابياً لافتاً للنظر إذن يجب تعزيز تعاوننا الإقتصادي والعسكري معها.

وفي الساحة الأخرى يتحتم على اميركا مساعدة القوى المعتدلة في افغانستان لأن هذا البلد لم يفقد أهميته الإستراتيجية أن تحدثنا عن مصير أواسط آسيا.

وعليه بعد كل ما ذكرنا سيتحتم على أميركا أن تتوالى مسؤولية ضمان أمن الخليج بقوتها العسكرية كما يتطلب الأمر أن نطور علاقاتنا مع السعودية وبقية دول الخليج العربي، وانطلاقاً من ذلك يفرض الواجب علينا تعزيز تسهيلات الإنزال البحري والجوي للقوات الأميركية في منطقة الخليج ففي حرب الخليج أعطانا صدام حسين ستة شهور لنشر جنودنا ومعداتنا هناك ومن جديد قد لا يرتكب نفس هذه الخطيئة، وإذن علينا أن ننشر المعدات بشكل مسبق ولاقصى درجة ممكنة، والأكثر أهمية من هذا هو العمل الدؤوب لتشكيل قوة انتشار سريعة يتسنى لنا بفضلها نقل

فرق ثقيلة إلى المنطقة بسرعة واستغلال التكنولوجيا الحديثة.

نحن نقف الآن في منحدر يجرفنا إلى حالة جيشنا الأجوف في أواخر السبعينات وفي ضوء بروز القوى الإقليمية في الخليج وشحة ميزانيتنا الدفاعية، ربما سنعجز عن إعادة تنفيذ عاصفة الصحراء إن دعت الضرورة إليها في نهاية التسعينات، وما هذا بمثار اهتمامنا لو أن التيارات تسير في طريق الإستقرار، لكنها ليست كذلك.

ها هي فرص تحقيق السلام الدائم في الشرق الأوسط في أوج تألقها منذ نشأت دولة اسرائيل خاصة بعد انتهاء حالة العداء بين مصر واسرائيل على ضوء اتفاقيات كامب ديفيد، ولذلك فإضاعة الفرصة الآن لإحلال سلام دائم ستسبب مأساة لجميع الشعوب في الشرق الأوسط.

إن الدنيا تتطلب رجلاً قوياً ليدخل حرباً، ولكنها تحتاج إلى رجل أقوى ليعقد السلام حيث السلام العربي الإسرائيلي سيعمل على:

* تعزيز فرص إنشاء علاقات متطورة بين أميركا والبلدان الإسلامية.
* أيضاً إقامة علاقات وطيدة بين الغرب والعالم الإسلامي.

إذن وفي هذه الحالة يتحتم على أميركا أن لا تجعل من تصادم الحضارات أن يكون السمة السائدة لعهد ما بعد الحرب الباردة فلو عملنا جميعاً ساعداً بساعد لاستطعنا أن نجعل من القرن الحادي والعشرين ليس قرن سلام في الشرق الأوسط والخليج العربي وحسب، بل وكذلك قرناً تقوم فيه الحضاراتان العظيمتان الرائعتان في عهد ما بعد السلام بإغناء كل منهما الأخرى وكذلك بقية أرجاء المعمورة ليس بأسلحتهما وثروتهما فحسب بل وحتى من خلال سحر عقائدهما الخالدة.

العالم النامي - حد الحربة الأخير :

لقد عفى الزمن على مصطلح العالم الثالث، ولم يشأ القدر البقاء لغير عالمين لا ثالث لهما بعد انهيار الشيوعية في الإتحاد السوفييتي وتوجه الصين صوب

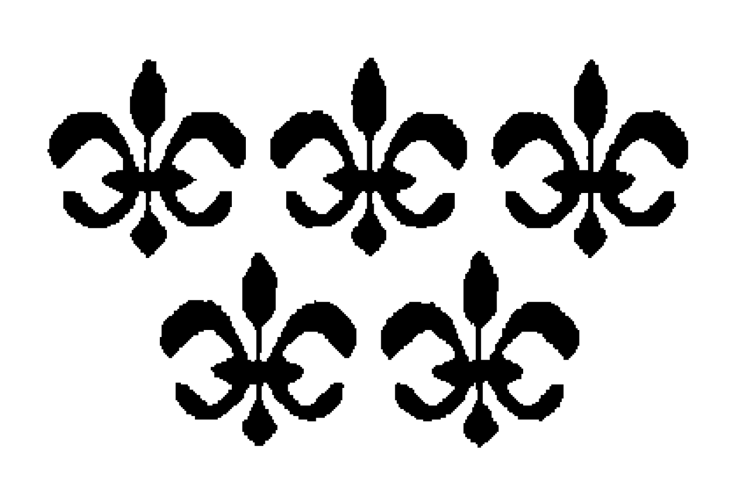
الإقتصاد الرأسمالي حتى غدا بوسع المرء أن يرسم خطاً ليفصل الكرة الأرضية إلى فئة بلدان العالم المتقدم وفئة بلدان العالم النامي.

لقد كان العالم النامي إذا ما نظرنا إليه من الزاوية التاريخية بالوعة سياسية واقتصادية نتنة، ذلك أنَّ مجموع إجمالي الناتج القومي لقارة افريقيا بأسرها الواقع جنوب الصحراء الكبرى يبلغ أقل من نظيره الهولندي وهكذا يبدو أن الغرب ليس مسؤولاً عن مشاكل العالم النامي بيد أننا نحمل على عاتقنا مسؤولية ما، ولم تزل أمامنا فرصة السعي لمساعدته على حل المشاكل، وهنا أقول أن ثلاثة قطاعات رئيسية لها أن تتأثر بسياستنا اتجاه العالم النامي «اقتصادنا وأمننا وزيادة اللاجئين إلى أميركا».

على أثر انهيار الشيوعية السوفييتية في الحرب الباردة وانتهاء حرب الخليج اضحت الحكمة التقليدية لبرهة من الزمن هي أننا نشهد بداية نظام عالمي جديد فيه انتهى الصراع بين قوتين عظميين، ولكن الصراع بين القوى الأصغر لم ينته بعد حيث أضحى حلم عمانوئيل كانت بسلام سرمدي كابوساً مرعباً، أضف إلى ذلك أنه بعد توحيد الغرب الذي تمزق مع نهاية التهديد الأمني ذر الإقتصاد قرينه ليغدو مواصلة للحرب بوسائل أخرى كما نوه كلاوزفيتز.

إنَّ الحاجة ملحة اليوم إلى وجود قيادة باسلة لمواجهة التحديات في أرجاء العالم في حقبة ما بعد السلام، ترى ما الدور الذي ستتقمصه أميركا في هذه الحقبة؟

علينا أن نستقي من التاريخ في دروسه الماضية ما يعيننا في حل مشاكل المستقبل ويبقى السؤال العويص، ما مدى استمرار اميركا في التوحد والإنخراط بسياسة زعامة العالم المتنور؟ وهذا أحد أعظم القضايا التي تواجهها كل أمة.



الفصل الثالث
أميركا ما وراء السلام

لا ينطوي أعظم اختبار لمكانة الدول على استجابتها لأعباء الحرب بل على كيفية تعاملها مع تحدي السلام، وأميركا القوية بوسعها أن تجعل من القرن القادم قرن حرية وسلام، والتغير المرغوب والذي نريدُ هو الذي يستعيد خير ما فقدناه ويحافظ على خير ما لدينا، ويأخذ بنا إلى ما هو أفضل. هنا أتذكر عبارة شكسبير : بأن الإجابة لا تكمن في قوانيننا بل في أنفسنا فما علينا سوى إعادة ثقافتنا وقيمنا إلى جادة الصواب، وستقتاد إليها القوانين وبالمقابل حذار أن تسمح لموجة التشاؤم هذه بأن تطغى لتغدو نشيداً قومياً رغم ما يلي:

– بلغ الدين القومي في ٢٠ كانون الثاني ١٩٩٣ أربعة مليارات دولار، وعجز الميزانية أكثر من ٣٠٠ مليار دولار.

– درجة التلاحم الإجتماعي الضروري للمجتمع الحر قد بدأت بالتراجع فقد ارتفعت نسبة الجرائم لأكثر من ٥٦٠٪ وزادت نسبة المواليد غير الشرعيين بما يزيد عن ٤٠٠٪ كما تضاعفت عدد حالات الطلاق أربع مرات ونسبة الإنتحار تخطت الضعف فيما يستمر تعاطي المخدرات بالإرتفاع. لذلك لا بد من توسيع نطاق ومدى مسؤوليات الحكومة إضافة إلى حرية اقتصادية ونظام أخلاقي وثقافي ينمي وازع الفضيلة.

حكومة قوية ومحدودة معاً :

إن لبعض المقترحات الإصلاحية محاسنها، وتحديد فترة الحكم فكرة حسنة تحتاج إلى سنها كي تغدو قانوناً إلا أن الفكرة السيئة هي التعديل المتزن للميزانية، فهي محدودة نظرياً وعصية عند فرضها عملياً.

إنَّ ما أضعف السلطة وأجمد الشعور بالمسؤولية ومحاسبة النفس، وتلك هي المبادئ الأساسية لأية حكومة فاعلة، هو تهميش دور الأحزاب السياسية وتآكل سلطة الرئيس وتشتت سلطة الحكم داخل الكونغرس وكذلك بروز القضاء الأمبراطوري ناهيك عن شيوع الإعلام المتغطرس، فالذي نحتاجه:

- العودة إلى المبادئ الأساسية المتعلقة بدور الحكومة الحقيقي والتوزيع السليم للسلطة.
- حكومة محدودة وقوية وقادرة معاً.
- إعادة الوقوف على آمال وتصورات المؤسسين المثاليين العمليين.
- حرية في ظل رئاسة قوية.
- الحاجة إلى استعادة القضاء مكانه اللائق بصفته حامياً للدستور لا معدلاً له.
- تعزيز ايمان الشعب بالحكومة على أساس إعادة الروح لمبدأ الفيدرالية عن طريق نقل الصلاحيات من واشنطن إلى الحكومات المحلية والفيدرالية.

وعليه ليست مشكلتنا اليوم هي الديمقراطية المباشرة الضيقة جداً بل هم السياسيون الكثيرون جداً الذين يتاجرون بامزجة الشعب وعواطفه.

الفرص المتساوية والنتائج غير المتساوية :

لقد عرف مبدأ الحقوق الطبيعية المتجسد في إعلان الإستقلال هدفنا بأنه المساواة في الفرص التي ترفض التفريق في الوضع القانوني، والإمتياز القائم على العرف أو الدين أو الأصل أو القبيلة أو اللغة أو الجنس والجميع متساوون في عين القانون غير أن الإصرار على المساواة في الفرص نقيض للمطالبة بالمساواة في النتائج.

إنَّ الدستور يؤكد على وجوب منح الأفراد الحق في النجاح على أساس الصفات الإيجابية لديهم، وهو ما يوحي أن الجميع لن ينجحوا على نحو متساو، ولكن الذي حدث أن تم إهمال الجدارة والقدرات، وأصبح التوظيف العشوائي

سائداً في خلايا المجتمع الأميركي فذاك أبشع التهديدات تجاه أموالنا وطبائعنا الأخلاقية، وتجاه قدراتنا على تجديد أمتنا.

المثالية الواقعية والحقيقة الواعية :

ما كان الإنسان في نظر الآباء المؤسسين مطلق الشر أو كاملاً بالفطرة بل أنهم آمنوا بفكرة مركبة عن الطبيعة البشرية مدركين في معظم الناس مزيجاً من الطيبة والخباثة، لذلك سعى هؤلاء إلى وضع أفضل نظام عملي لإظهار خير ما لدى الإنسان وكبح نوازعه الشريرة وبذلك اندمجت أميركا بين المثالية والواقعية، والحقيقة الواعية فكانت النتيجة قيادة عالمية ونزاهة وازدهار وبدى واضحاً أن المثالية خطرة وتافهة بلا واقعية، وبدورها الواقعية بلا مثالية هي شيء مضحك أجوف، والقيادة الفاعلة في الداخل والخارج هي التي تتبنى المثالية والواقعية الحصينة من السقوط في فخ المثالية أو في هاوية اليأس.

الإعلام : حرية بلا قيود

الحق أن حرية الصحافة ضرورة لازمة لإنعاش الديمقراطية التمثيلية ولحماية حقوق الأفراد والثقافة الإعلامية المعارضة هي إحدى حقائق الحياة.

من الناحية الأخرى يتحمل الإعلام جزءاً غير قليل من مسؤولية فقدان الإيمان الحالي بالمؤسسة السياسية الأميركية لقد أحدثت الستينات والسبعينات تغييراً جذرياً في فهم الإعلاميين لدورهم في المجتمع إذ لا بد من أن يدلوا بدلوهم الإيجابي راحو يقرعون ناقوس الخطر وبناء على ذلك، لو أريد إحالة تجد أميركا إلى حقيقة، فعلى رجال الإعلام أن يعدوا أنفسهم للعمل في سبيل ذلك، لا الإنخراط في سجال التحليل والإنتقاد الشرس بلا هوادة بحيث يسارعون إلى إجهاض تجدد أمتهم.

أساطير الحكومة :

الحرية الإقتصادية لا تزال تمثل مصطلحاً متقلباً، فالحرية الشيوعية كانت مادية والحرية الرأسمالية لم تكن كذلك، وما بين مفهومي الحرية هذين يقع مفهوم السوق الحرة، إن هذا التحدي ليتطلب أخيراً أن توازن الحكومة وعلى نحو دقيق بين الفرصة والأمن بين النمو والنزاهة وهنا يجب التأكيد بأن الإنفاق الإجتماعي المفرط يستنزف قدرة الإقتصاد على ضخ الأموال اللازمة لتمويل البرامج الإجتماعية كما أن خفض الحكومة في عهد ريغان للضرائب وزيادة الإنفاق الدفاعي ومنح الإعانات كل ذلك خلق مشكلة العجز.

لقد كان البناء الدفاعي صفقة رابحة، فهو قد ساعد على كسب الحرب الباردة فوفّر بذلك الدماء والأموال على المدى البعيد، لكن الإنفاق الداخلي شكل هفوة لعينة في زيادة العجز، إذن يجب أن نواجه هذا العجز بخفض الإنفاق الداخلي وليس برفع الضرائب، وما هو ضروري لنستطيع تمويل التوسع الصناعي والنمو الإنتاجي هو المدخرات والإستثمارات بالإضافة إلى ذلك فإنه ينبغي علينا ألا نضخم حجم حكومتنا الذي يبطئ نمونا الإقتصادي.

اصلاح الرعاية الصحية - مركب عضوي لحكومة كبيرة :

الرعاية الصحية في أميركا بحاجة إلى تطوير، غير أنها ليست بحاجة إلى تبديل، فنحن مَنْ وضع معيار الرعاية الصحية في العالم، ونحن من يقود العالم في البحث والتطور الطبي. لقد أضحى التأمين الطبي عرفا والإنسان الأميركي يعيش حياة أطول وأفضل والمطلوب السيطرة على إنفجار تكاليف المعالجة الطبية بشكل رئيسي من خلال قوى السوق التي ستضمن محافظة الرعاية الطبية الأميركية على رقي مستواها.

إن خطة الرئيس كلينتون تمعن في تحسين تقديم الرعاية الصحية بشكل أقل من تركيزها على ضبط الرعاية الصحية، لقد كان برنامجنا يتعلق بالصحة، فيما نجد اليوم برنامج كلينتون زاخراً بالتركيز على الصلاحيات.

التعليم على الطراز القديم في عهد جديد :

اتخذ التعليم الأميركي مساراً حلزونياً هابطاً لسنين عدة وانحدرت مستويات المطالعة لحد كبير لدى تلاميذ جميع المراحل وكشف استطلاع حديث عدم قدرة تسعين مليون شخص على القراءة بدون أخطاء وفشل ما يربو على ٢٥٪ من الأميركان في التخرج من المدارس الثانوية.

فإن شاعت مدارس أميركا الحكومية أداء دورها فعليها أن تكون أماكن متحضرة للتعلم وشيوع روح الإنضباط الشخصي والإجتماعي والفكري، وكم هي جوفاء الفكرة التي تعزو فشل مدارسنا إلى قلة انفاقنا عليها فأمثل السبل لإصلاح التعليم هو المدارس نفسها وأخيراً يجب أن يمتد الإصلاح التربوي إلى ما هو أبعد من المدارس نفسها بكثير فمن يترك مسؤولية أبناءه من الآباء على عاتق المدارس وحدها إنما يتخلى عن مسؤوليته لأن المنزل عامل لا غنى عنه في تربية الطفل.

نحن كافة علينا مسؤولية تجاه الجيل المقبل من خلال بث القيم الصالحة في نفوسهم، وتعليمهم التاريخ والتقاليد المتحضرة إضافة إلى تعليمهم وإفهامهم سبل تطبيق قيمهم في مسرح الحياة.

الرفاهية :

يقول بات مونيهان عام ١٩٩٣ «إن المجتمع الذي يفقد الحس بالغضب لمحكوم عليه بالفناء» وتبدو مشاكل المتمدنين من وجهة النظر الليبرالية الإنعكاسية ناجمة عن الفقر وعن الجريمة والأطفال غير الشرعيين وإساءة إستخدام المرافق العامة، وليس هناك من شيء أكبر مسؤولية من تفسخ مدننا اليوم من نظامنا الفاسد والمتقلقل وعديم الأخلاق واللاإنساني، أما المفهوم الليبرالي للرفاهية - انفق أكثر وأطلب أقل فغايته سليمة لكنهم أخطأوا قيادته من حيث الرعاية للأطفال غير الشرعيين، بل التشجيع على الإنجاب يمثل هذا الشكل، هؤلاء الأطفال سيصبحون فيما بعد إرهابيين ومجرمين وقطاع طرق يمارسون الجنس غير المشروع ويتعاطون المخدرات لأنه لا توجد أسرة مستقرة. اذن لا بد من استعادة أهمية الأسرة بمثابة

الوحدة الإجتماعية الأساسية لتنشئة الطفل.

الجرائم والعنصرية في أميركا :

شرعنا بعد انتهاء الحرب الباردة نتذوق طعم التحرر من خوف الحرب وبات الطلب الآن التحرر من خوف الجريمة، فنحن لم نزل نعيش في بؤرة حضارة العنف والخوف.

إنَّ مسألة الأعراق تزيد حدة الوباء الجريمي، واجبنا يدعونا إلى رفع هذا الحاجز الثقافي إذا أزمعنا انقاذ أميركا من التمزق، وما هو عنصري حقاً هو تجاهل طرح المشاكل وعزو الجريمة إلى الفقراء أمر خاطئ وساذج فكرياً، والفقراء إن فعلوا ذلك فلأنهم فاسدون عفني التربية، وتجديد أميركا يتطلب:

* إنهاء الإتكالية وتقليص حجم الحكومة وبناء اقتصاد قوي متنام.
* الإهتمام بالمدارس والكنائس والجمعيات الإجتماعية والقطاع غير الربحي.
* كبح جرائم السود بإعادة الإعتبار للمجتمع وإنقاذ الأطفال من الغوائل وإنهاء مشكلة العنصرية وتقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء.
* تقوية الشعور بالوحدة القومية ومنح الجميع فرص الدراسة والعمل.
* حل مشكلة المهاجرين.

مفاسد المخدرات والثقافة الشعبية :

البعض يتصور أننا سنرفع راية الإستسلام في حرب المخدرات والبعض هم نخبة هوليود التي يعيش أهلها وسط العنف والجنس الإباحي لذلك يجب إخضاعها لرقابة الحكومة وحري بنا تحويل بعض الأموال الضخمة المنفقة على الجهود غير الناجحة لمنع المخدرات دخول البلاد إلى دعم مؤسسات إعادة التأهيل غير الحكومية.

الله والأسرة - إعادة اكتشاف روح الجريمة :

إن معظم أدواتنا الكريهة إنما هي في جوهرها مشاكل أخلاقية وليست مادية، وسيكون العجز مصيرنا، إن شئنا بلوغ حل لها دون العودة إلى رحاب المبادئ التي صنعت عظمة بلدنا.

لقد خاب أمل الداعين إلى سياسة النوايا، وأصابهم الإحباط من تفشي الأمية وتلاشي الأخلاق الحميدة والإفتقار إلى أي عمق للحياة في أميركا وصدقوا حين اعتقدوا بأن جزءاً من المشكلة يكمن في الفلسفات المغرقة في المادية التي تتجاهل البعد الروحي للإنسان، بيد أن الحلول التي يميلون إلى طرحها «زيادة التدخل الحكومي، والإكثار من المخصصات وتقليص مسؤولية الفرد» هي مسببات لإسقامنا بحد ذاتها.

لقد عملت ثقافة الستينات المضادة على خلق فراغ معنوي وروحي أضعف ركائز المجتمع الأميركي وبذلك سادت الأفكار الداعية لاهتمام الفرد بنفسه فقط والعيش الخالي من التبعيات وعبادة الإحتيال وتسفيه العمل إضافة إلى انعدام العدالة المتجذر في المجتمع الأميركي، ليس من جدوى في العودة إلى مفهوم الرقابة، وها هي صناعة التسلية والجهات الفنية وجل المؤسسات التعليمية تعمل دون كلل على اغتيال الدين وإشاعة الجنس المحرم وتشجيع الإنجاب غير الشرعي وكذلك قصم ظهر أميركا، وإذا كانت الحكومة غير قادرة على نشر الفضائل الأساسية في المجتمع فبإمكانها ايقاف تدهورها على الأقل.

حيوي هو تأثير الدين على السياسة الأميركية، وسيكون الأفضل لو كان تأثيره غير مباشر على الأخلاق والعادات ونفسيات الأفراد الأميركان لأن الحكومات ليست قادرة على الوصول إلى قلوب الشعب بيد أن الدين بمستطيع وعلى الحكومة السعي إلى:

* التجديد الروحي لتجديد أميركا، وصيانة مكانة الأسرة مع تحمل المسؤولية كاملة.

* معالجة مشاكل الفقر ونواتجه.

* دعم المؤسسات الفكرية وسدنة حضارة الأمة.

* إشاعة المناخ الأخلاقي - الحضاري.

الرسالة الفردية والرسالة القومية :

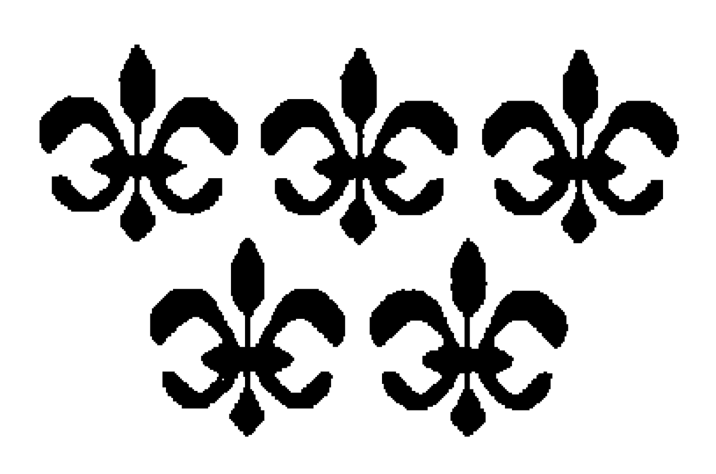
إن ما حمى السياسة الأميركية من عواصف السياسات الدينية والإيديولوجية هو:

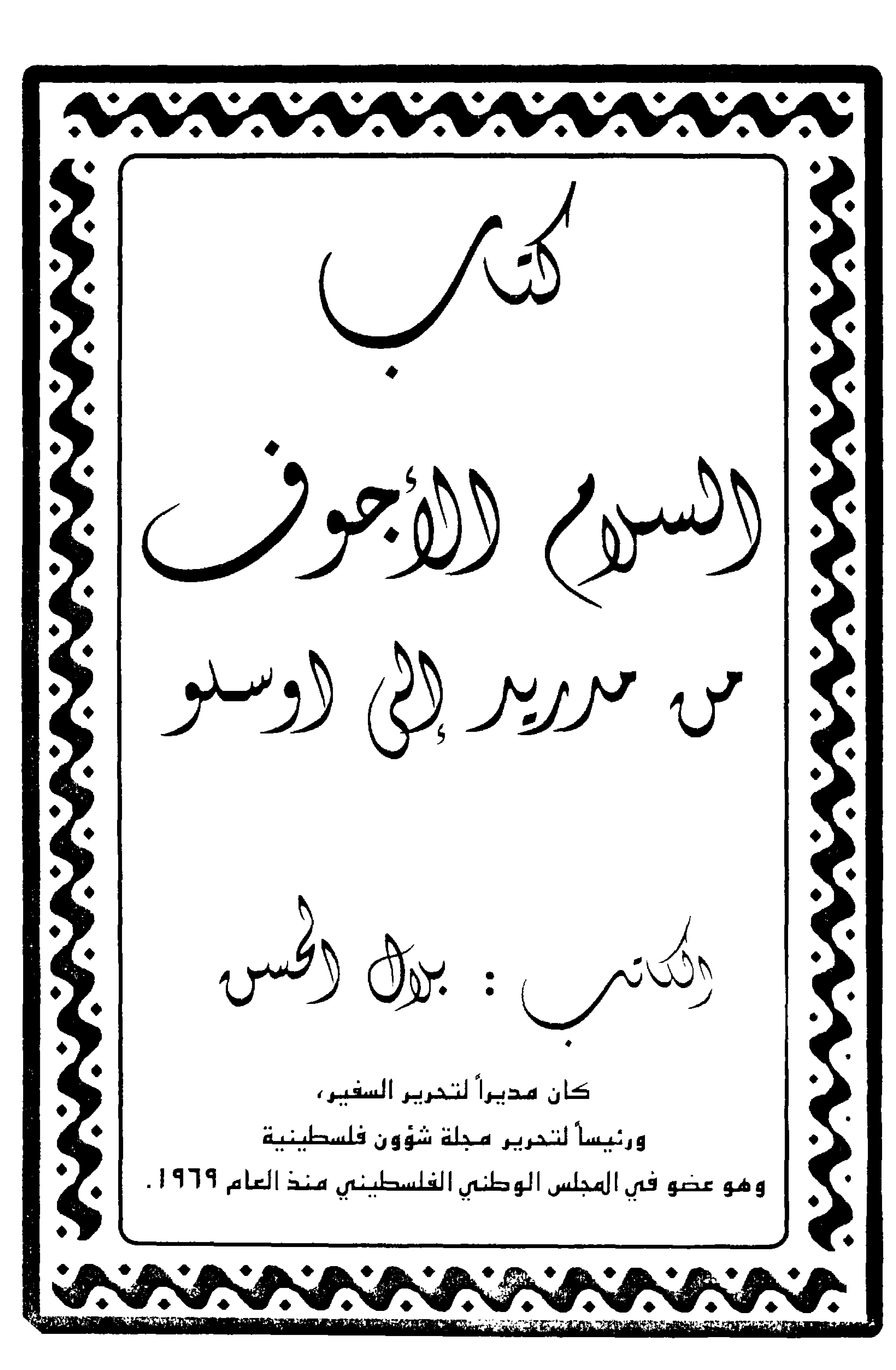
«دعم الأفراد الكادحين نحو التفوق - إرساء نظام يسمح للأفراد ببذل طاقاتهم للبناء من خلال المصلحة العامة» وآمنوا بعد ذلك أن تحقيق أفضل مصلحة عامة يعتمد على الأفراد المنكبين على تحقيق مصالحهم الشخصية الخيرة وبادئ ذي بدء على أميركا تأكيد نذر نفسها لإحراز التفوق من أجل مصلحتها هي:

- لقد باتت أميركا الحديثة حلبة يتناطح فيها عدد غزير من القوى.

- التباين العرقي والثقافي، والفجوة الهائلة بين الفقراء والأثرياء، وانعدام الثقة بين الأجداد والأحفاد.

- إن ما تحتاجه أميركا هو حرب على نزعة السخرية والسلبية، وعوامل التشاؤم حول آفاق أميركا المستقبلية ودورنا في العالم، ولا عزاء في تقاعسها عن نقل كل ما نحن بحاجة إليه بالرغم من مشاكلها الإقتصادية والإجتماعية، وليكن هدفنا الأول انعاش الإيمان بالحرية في الخارج والداخل، وليكن باكورة أعمالنا بعد اختتام فصول الحرب الباردة هي معالجة العجز الروحي والحضاري، وتجديد التمسك بمبادئ الحضارة البشرية التي تستعرضها أميركا، في الحقيقة نحن نمتلك ما سيجعل القرن القادم قرن سلام وازدهار لم يشهد له التاريخ نظيرا.





كتاب

السلام الأجوف

من مدريد إلى اوسلو

الكاتب : بلال الحسن

كان مديراً لتحرير السفير،

ورئيساً لتحرير مجلة شؤون فلسطينية

وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩٦٩.

كتاب

السلام الأجوف
من مدريد إلى اوسلو

* **الكاتب** : بلال الحسن.

* صدر عن الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٩٤.

* هذا الكتاب ليس بحثاً أكاديمياً وتقليدياً، بل تعامل مع الحدث في مراحل تطوره تعاملاً حاراً مباشراً يحمل بعض المواجهة، ويمثل شهادة حية على عبث السياسة بالقضايا التاريخية، حيث تذوي السياسة تدريجياً، ويبقى التاريخ بقضاياه عارضاً عبئه على الجميع إلى أنْ تستقيم الحقائق وتعود للإنتظام في مجرة العدل الإنساني.

* يقع الكتاب في ١٣٨ صفحة، موزعة على ثلاث فصول :

* **الفصل الأول** : المفقود والمطلوب في مفاوضات السلام الفلسطينية-الإسرائيلية.

* **الفصل الثاني** : الجولات.

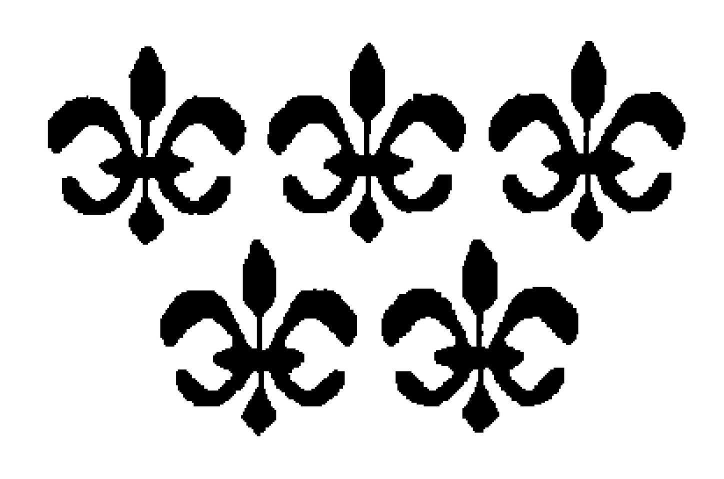
* **الفصل الثالث** : اتفاق اوسلو.

المقدمة

هذا الكتاب يبحث في المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية وفي اتفاق أوسلو ولكنه في جوهره بحث في السياسة الأميركية إزاء القضية الفلسطينية «فصيغة مدريد ومؤتمرو مدريد، مفاوضات واشنطن، ومفاوضات اللجان المتعددة» هي كلها بنود السياسة الأميركية التي وضعتها إدارة الرئيس جورج بوش ومعه وزير خارجيته جيمس بيكر لإيجاد حل للقضية الفلسطينية.

وقد كان من شأن هذه السياسة أنها أفرغت الموضوع الفلسطيني من مضمونه الإنساني والتاريخي والسياسي وكان الفشل. ويؤكد الكاتب أنه نتيجة لهذا الفشل اقدمت القيادة الفلسطينية في تونس على فعلتها التاريخية فنظمت مفاوضات سرية قبلت فيها منطق التفاوض الأميركي وقبلت بالتالي شروط العرض الإسرائيلي، وأعلن لهذا السبب عن نجاح هذه المفاوضات التي جرت في اوسلو وكان التوقيع في اشنطن ١٩٩٣/٩/١٣ حيث برز إلى الوجود اتفاق غزة - أريحا واتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني.

ولهذا فإن السياسة الفلسطينية وخطة التفاوض الفلسطينية تشكل البند الثاني من هذا الكتاب حيث الكشف عن غياب وجود استراتيجية فلسطينية للتفاوض، وقد أضعف غياب هذه الإستراتيجية أداء الوفد المفاوض في واشنطن وفتح الباب في الوقت نفسه أمام مفاوضات اوسلو السرية حيث جرى التفاوض على قاعدة القبول بما تعرضه اسرائيل باعتباره الأمر الوحيد الممكن.



الفصل الأول
المفقود والمطلوب في مفاوضات السلام الفلسطينية - الإسرائيلية

بنيت مفاوضات السلام على سلسلة من الأخطاء، لا يمكن انقاذ المفاوضات إلا بإزالتها، والأخطاء التي أشير إليها فرضها الأقوياء وقبلها الضعفاء فرضتها أميركا «واسرائيل» وقبلها الفلسطينيون والعرب وحتى الأوروبيين.

ويمكن لسياسة الفرض أن تقود إلى طاولة المفاوضات، ولكنها لا يمكن أن تنتج حلولاً واتفاقيات وإذا حدث فإنها لا تنتج سلاماً حقيقياً بل سلاماً مغشوشاً لحرب أشد ضراوة.

لذا يمكن القول: أنَّ مفاوضات السلام تحتاج إلى عملية مراجعة توضيحية قبل أن تكون نقدية، لقد بدأت مفاوضات السلام مسيرتها بعد انتهاء حرب الخليج مباشرة، بدأ جيمس بيكر وزير خارجية أميركا وتحت إشراف الرئيس جورج بوش اتصالات مكوكية مكثفة مع الإسرائيليين والفلسطينيين والعرب بهدف دفعهم جميعاً إلى طاولة المفاوضات.

كان يتحرك بيكر مستنداً إلى أسس عدة أهمها:

* الإنتصار الأميركي على العراق.
* انهيار الإتحاد السوفييتي.
* الولايات المتحدة في طريقها لتكون زعيمة العالم بلا منازع.
* الوضع النفسي للعرب واسرائيل على حدٍ سواء بعد حرب الخليج.
* طرح الأفكار التي تؤكد أنه من لا ينسجم مع الطروحات الأميركية سيبقى خارج النظام العالمي الجديد.

واستناداً إلى ذلك نمت الأجواء داخل العمل السياسي الفلسطيني وكثر

الحديث عن الفرص الضائعة وارتفعت شعارات تقول: لنحصل على ما يمكن الحصول عليه، لنأخذ ما بقي من الأرض قبل أن تضيع كل الأرض.

في البداية رفع بيكر شعاراً مغشوشاً قال أنه يريد مفاوضات طوعية، وأميركا بدورها ستكون شريكاً حَكَماً أي المباشرة بمفاوضات دون شروط مسبقة وتحت إشراف الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي فقط ... وإزاء القوة الإسرائيلية المتفوقة وتحت وطأة التأثير النفسي قبل العرب والفلسطينيون وتنازلوا عن مطلب أن تكون المفاوضات من خلال مؤتمر دولي وتحت رعاية الأمم المتحدة مما أدّى إلى إضعاف مرجعية المفاوضات.

لقد أراد الفلسطينيون منذ البداية مضموناً لمفاوضاتهم مع اسرائيل على أساس الإنسحاب الإسرائيلي وحق تقرير المصير، ولكن بيكر تجاوب مرة ثانية مع المطالب الإسرائيلية فرفض تحديد أي مضمون مسبق للمفاوضات المقترحة، وكل ما هو مطروح خاضع للمفاوضات بما فيها موضوع القدس وموضوع الإسيطان.

حاول الفلسطينيون الحصول على مكاسب في قضية شكل المفاوضات فطلبوا أن يتم التفاوض باسم المنظمة وأن يكون الوفد ممثلاً لفلسطيني الداخل والخارج، وطلبوا أن يكون سكان القدس ممثلين في المفاوضات ورفضت اسرائيل واستجاب بيكر للرفض الإسرائيلي وتراجع الفلسطينيون عن مطالبهم وبهذه الحصيلة أوجد بيكر حالة تفاوضية فريدة من نوعها في العالم، لا مرجعية ولا مضمون ولا شكل. فكيف يمكن تصور أي إمكانية لنجاح المفاوضات؟

لم تقف الأمور عند هذا الحد بالنسبة للفلسطينيين، فقد فرض عليهم خلافاً للأطراف العربية الأخرى أمران هما:

- **الأمر الأول** : أن يكون التفاوض على مصير الأراضي المحتلة على مرحلتين: حكم ذاتي مؤقت - ومرحلة ترتيبات نهائية.

- **الأمر الثاني** : الإعتراض على كل من ليس لديه نية حسنة تجاه السلام في أعضاء الوفد الفلسطيني وحصل ذلك مع صائب عريقات.

لقد حاول الوفد الفلسطيني من خلال عملية التفاوض أن يتجاوز الكثير من

الأمور التي فرضت عليه لاثبات تمثيله لمنظمة التحرير كأمر واقع ولكن لم يتم أبداً الإعتراف الرسمي بذلك «اسرائيل وأميركا» وبقي الأمر تعبيراً عن إرادة فلسطينية دون أن ينعكس عملياً على طاولة المفاوضات ومن المفيد أن نلاحظ هنا أن المفاوضات أفرزت من داخلها قضايا كان يمكن للمفاوض الفلسطيني أن يتثبت بها، وأن يعلن تجميد إسهامه في المفاوضات ما لم يتم حلها، ومن أهم هذه القضايا:

* مسألة حقوق الإنسان.

* مسألة ضمانات القروض التي طلبتها اسرائيل من الولايات المتحدة الأميركية (١٠ مليارات).

* قضية المبعدين.

هذه الأمور كلها كان من المفروض أنْ تؤدي إلى تحسين شروط التفاوض الفلسطيني، لقد بدا الوفد الفلسطيني في كثير من الأحيان مزوداً بالنوايا الحسنة وبالإرادة الصلبة ولكنه كان مفتقداً لاستراتيجية تفاوضية شاملة. وفي مسار المفاوضات العربية - الإسرائيلية شهدت الساحة حكومتين اسرائيليتين وإدارتين أميركيتين، مثلت كل واحدة منهما تجربة خاصة.

حكومة اسحق شامير بدأت المفاوضات على مضض ثم مارست المفاوضات بعدائية وصلت إلى حد الإستعلاء، منطلقها أنَّ الأرض المحتلة هي الأرض المحررة التي بشرهم الله بها في التوراة ويترتب على ذلك أنه لا انسحاب ولا مجال لوقف الإستيطان والحكم الذاتي وسيلة لتنظيم حياة السكان. كان الجميع يدرك أن أبواب التفاوض كانت مغلقة تماماً والإدارة الأميركية التي شهدت هذه المرحلة إدارة الرئيس جورج بوش، كانت تدعي عدم التدخل وعدم ممارسة الفرض ولكن هذا الإدعاء كان غير صحيح فهي استعملت كل نفوذها لتفرض على الفلسطينيين والعرب شروط اسرائيل للتفاوض قبل وأثناء المفاوضات.

وفي أثناء هذه المسيرة اللامجدية كانت اسرائيل تتلقى المكافآت والعطاءات الإقتصادية والعسكرية بالإضافة إلى أن أميركا مارست ضغوطاً لتنظيم أكبر

حملة دبلوماسية عالمية لدفع الأمم المتحدة نحو إلغاء قرارها باعتبار الصهيونية حركة عنصرية، وتجاه موسكو لدفعها نحو السماح بهجرة اليهود السوفييت إلى اسرائيل.

حكومة اسحق رابين جاءت بعد ذلك تحت شعارات الواقعية والسلام والتفاهم الأعمق مع واشنطن وقد هلل الكثيرون لقدومها باعتبارها حكومة ستحقق السلام ولكنها كانت حكومة أخطر من حكومة شامير من خلال طروحات قدمتها أهمها:

* هناك فروق بين الإستيطان السياسي والإستيطان الأمني فإن توقف الأول فالثاني يجب أن يستمر.

* مفهوم الحكم الذاتي يقوم على تقسيم الضفة وقطاع غزة إلى ثلاث مناطق «فلسطينية، واسرائيلية، وثالثة مشتركة والتي تمثل أراضي الدولة» وقد كوفئت حكومة رابين فوراً على ذلك كله، وتم الإعلان عن موافقة أميركا على تقديم ضمانات القروض إلى اسرائيل.

* موضوع المبعدين فقد كانت سياسة أميركا - اسرائيل مشتركة منع مجلس الأمن من الإنعقاد لتشجيع اسرائيل على المضي في معركة المبعدين دون تقديم تنازلات أساسية.

* وضعت الإدارة الأميركية برنامجاً متكاملاً لمعالجة قضية الصراع العربي الإسرائيلي بمعرفة مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الأوسط تحت عنوان «نحو استراتيجية أميركية في عملية السلام» وقد جاء في هذا البرنامج :

- التقدم نحو السلام الآن ممكن لأن العرب مهزومون.
- الإسقرار في المنطقة ضروري لأمن أميركا واسرائيل معاً.
- إزالة السلبيات الشائكة في عملية السلام «بقاء صدام في السلطة - التسلح السوري - العنف في الأراضي المحتلة - رغبة الفلسطينيين في تغيير صيغة مدريد - نشاطات حزب الله».
- لا يمكن القبول بالمطالب الفلسطينية التي توحي بممارسة السيادة في المرحلة الإنتقالية.

- عدم الضغط على اسرائيل في مسار المفاوضات.

- العنصر الحاسم الذي يحدد العلاقات الأميركية - العربية هو الرغبة التي تبديها الأطراف العربية في السلام واستعدادها لأخذ هموم اسرائيل الأمنية ومطالبها في الإعتبار.

واستناداً إلى تصريحات علنية صادرة عن الدكتور نبيل شعث المستشار السياسي لعرفات والدكتورة حنان عشراوي يمكن تلخيص المطالب الفلسطينية من الإدارة الأميركية كما يلي:

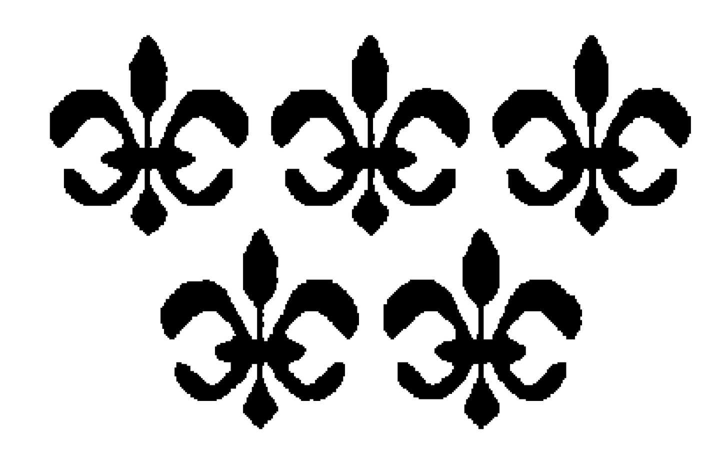
١ - المطالبة بأسس جديدة لعملية التفاوض تتجاوز صيغة مدريد «تمثيل المنظمة وإدراج موضوع القدس».

٢ - المطالبة بتدخل أميركا بصفتها راعية لمفاوضات السلام.

٣ - المطالبة بتقديم الحماية للشعب الفلسطيني أثناء عملية المفاوضات.

كما أعلن الفلسطينين أنهم لن يعودوا إلى المفاوضات - الجلسة التاسعة - إلا بعد حل قضية المبعدين والتعامل الأميركي الإيجابي مع المطالب الفلسطينية الأخرى. والنتيجة كانت على الشكل التالي:

أنه لا يمكن حل مشاكل التاريخ وحقوق الشعب وقضايا الحرب والسلام بمواقف مفروضة في ظرف سياسي ملائم والحقيقة أن تصحيح خلل المفاوضات الذي هندسه الأميركيون بأنفسهم هو المدخل لإطلاق مفاوضات عربية - اسرائيلية ناجحة.



الفصل الثاني

الجولات

قامت اسرائيل من طرفها بانتظار جولة كريستوفر بثلاث تحركات متوازية:

* قام وزير خارجيتها شمعون بيريس بزيارة للولايات المتحدة.

* عينتَ الحكومة الإسرائيلية سفيراً جديداً لها في واشنطن متفهماً لأمور المفاوضات.

* قام وفد اسرائيلي بإجراء مفاوضات دقيقة ومفصلة حول مشروع اسرائيل للحكم الذاتي مع ادوارد دجيرجيان مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط.

أما الفلسطينيون فقد أرسلو إلى واشنطن وفداً يتكون من حنان عشراوي ومحمد الحلاج وحمل الوفد في جعبته ثلاث قضايا جوهرية «المبعدون – العلاقات الثنائية وضروة استئناف الحوار الأميركي مع المنظمة – ومضمون مفاوضات السلام».

ويمكن تلخيص المطالب الفلسطينية بما يلي:

١ – قبول التمثيل العلني والرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية على مائدة المفاوضات الثنائية.

٢ – تحديد جدول زمني جديد للمسيرة السلمية.

٣ – تحديد موقف أميركا من اسرائيل.

٤ – تدخل أميركي لإدراج قضية القدس على جدول الأعمال.

٥ – تفسير مرجعية المفاوضات على أن العملية السياسية تستند إلى القرارين ٢٤٢–٣٣٨.

٦ – دفع اسرائيل لتنفيذ إجراء بناء الثقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

هذه المطالب وضحت لوزير الخارجية الأميركي نوع الحوار الذي سيواجهه عند زيارته للمنطقة وسيكون لزاماً عليه أن يقدم أجوبة مقنعة للجميع.

لقد جاءت إدارة كلينتون إلى الحكم وهي محملة بالعديد من أعباء الإنحياز المتطرف لإسرائيل، ثم جاءت قضية المبعدين لتوجد شرخاً جديداً في العلاقات الأميركية - العربية ويستدعي هذا كله أن يكون كريستوفر جاهزاً لمعالجة أمور الشرق الأوسط الحساسة بعقلية منفتحة ومبادرة.

شمعون بيريس في القاهرة :

في زيارته الأولى للقاهرة بعد أن أصبح وزيراً للخارجية طلب بيريس الإجتماع مع مجموعة من المثقفين المصريين لإجراء حوار مفتوح بينه وبينهم وبالفعل حضر اللقاء صحفيون وكتّاب ورجال سياسة. تحدث بيريس شارحاً تصوره لسلام استراتيجي شامل بين اسرائيل والعرب وداعياً إلى تعاون واسع جداً بين الطرفين من خلال قضايا ثلاث هي:

«التنمية الإقتصادية للجميع - القضاء على التصحر بالمياه - مواجهة الأصولية الإسلامية ومخاطرها» وفشل الهدف الذي يريده بيريس من الإجتماع فالقضية بين العرب واسرائيل هي قضية واحدة «القضية الفلسطينية» والتصور الإسرائيلي للسلام مع العرب يتمحور حول هذه القضايا الثلاث بالتأكيد.

شمعون بيريس في باريس :

بعد القاهرة كانت المحطة باريس ليلتقي مجموعة من المثقفين الفرنسيين وكانت نقاط الطرح نفسها الثلاث سابقة الذكر مؤكداً أنَّ العرب وحدهم بحاجة إلى اسرائيل والخيار الوحيد أمامهم هو أن يقبلوا مفهوم اسرائيل للسلام ولا يمكن فرض مفهوم العرب للسلام على اسرائيل.

شمعون بيريس في واشنطن :

في ١٩٩٣/٢/١٤ ألقى شمعون بيريس في واشنطن خطاباً أمام المجلس الإستشاري للطائفة اليهودية في الولايات المتحدة الأميركية شرح فيه الأفكار التي

طرحها في القاهرة وباريس وزاد عليها فكرة رئيسة جديدة وهي أنه يريد تطوير العلاقة الإستراتيجية القائمة حالياً بين اسرائيل والولايات المتحدة إلى شراكة سياسية بينهما «وهذا يعني الندية بين الطرفين وهي تعني وحدة الحال بينهما، كما أنها تعني أن اسرائيل تنوب عن أميركا في منطقة الشرق الأوسط للحفاظ على المصالح المشتركة».

في منتصف عام ١٩٩٢ أعلنت إدارة الرئيس بوش عن مبادرة لتقديم مساعدات إلى الجمهوريات الإسلامية التي خرجت من إطار الإتحاد السوفييتي حيث تم تجنيد اسرائيل لهذه الغاية [واشنطن تقدم التمويل، واسرائيل تقدم المعرفة والخبراء في مجالات الزراعة والمياه والصحة العامة].

هكذا تريد اسرائيل العلاقات وهكذا تؤكد النتائج والنتائج أكبر برهان لما تم تحقيقه ففي ١٩٩٣/٢/١٧ بدأ كريستوفر جولته في منطقة الشرق الأوسط حاملاً معه تهديدات واضحة الأهداف والمعاني «إذا لم تكن الأطراف مستعدة لتقديم التنازلات أو لطرح أفكار جديدة أو لتحمل مسؤولياتها فللإدارة الأميركية الجديدة اهتمامات أساسية أخرى.

جولة وارن كريستوفر الأولى :

الزيارة لم تكن فاشلة ولكنها لم تكن ناجحة أيضاً، إنها الزيارة الأولى الملتبسة، وأصبح هذا الإلتباس العربي - الإسرائيلي - الفلسطيني يلف بشموله عملية التسوية السياسية بأكملها، لقد طغت قضية المبعدين على الزيارة كلها وقضية التفاوض الأولى التي حملها معه كريستوفر كانت قضية الشريك الكامل والذي يعني أنَّ أميركا قد قررت التدخل لوضع حد للتعنت الإسرائيلي وللتغيرات الإسرائيلية الكيفية التي أدخلت المفاوضات في مأزقها المعروف.

وقد رحب العرب جميعاً بهذا التحول الأميركي شرط أن تمارسه الولايات المتحدة حسب مقتضيات الشرعية الدولية وليس حسب مراعاتها الدائمة للرغبات الإسرائيلية.

كما أن كريستوفر نجح في الفصل بين قضية المبعدين وبين مواصلة المفاوضات الثنائية ولكنه وضع شرطاً فلكي تمارس إدارة الرئيس كلينتون دور الشريك الكامل وهو شرط عودة الأطراف بسرعة إلى طاولة المفاوضات يجب على العرب «بلغة أقرب إلى التهديد منه إلى الإغراء» أن يكونوا نشيطين بتقديم أفكار جديدة تفيد المفاوضات.

وكانت قضية المفاوضات الثنائية في مهمة كريستوفر هي قضية الموقف السوري ومحاولة دفعه باتجاه الإنسجام مع الموقف الأميركي واستعمل كريستوفر من أجل ذلك قضية حساسة هي قضية الجولان لقد أعلنت اسرائيل مراراً بتصريحات متطورة عن موقفها من الجولان حسب ما يلي:

* أنها لن تنسحب من هضبة الجولان.
* عرضت أن تستأجر الهضبة من سورية.
* ثم أنها مستعدة لانسحاب جزئي وليس كاملاً من الجولان.
* ثم بلورت موقفها على الشكل التالي «أن درجة الإنسحاب ستكون حسب درجة السلام الذي سيتم انجازه مع سورية».

وبذلك تعثرت المفاوضات الثنائية الإسرائيلية - السورية وألقى ذلك بظله على قضايا المفاوضات الأخرى على لبنان بالدرجة الأولى ثم على الوضع في المنطقة بالدرجة الثانية حيث قضايا الأكراد وأمن الخليج وايران.

ثم جاء تصريح لمسؤول عسكري اسرائيلي يقول: «إن اسرائيل تستطيع المحافظة على أمنها من دون مرتفعات الجولان في حال التوصل إلى اتفاق سلام صلب» ولكن هذا التصريح المغري لم ينفع دمشق التي ظلت متمسكة بموقفها بصدد القضايا الأخرى المذكورة، فسورية تعتبر الإنسحاب الإسرائيلي مقدمة للسلام، ولا تعتبره هبة تستحق عليها اسرائيل مكافأة خاصة.

أما قضية التفاوض الثالثة في زيارة كريسوفر فكانت محطتها دمشق أيضاً وهنا لا بد من إبراز ثلاث نقاط هامة وهي:

- كلينتون يرسل برسالة إلى الرئيس الأسد يسجل فيها فكرة الشريك

الأميركي الكامل.

– طرح فكرة الإعتراف بمركزية وأهمية دور سورية على صعيد الأمن الإقليمي.

والمعروف أن الأمن الإقليمي من المنظور الإسرائيلي يتلخص في أنه لا يمكن إنجاز اتفاقات ثنائية مع العرب قبل الإتفاق على قضايا الأمن الإقليمي وهي قضايا تشمل المياه ونزع أسلحة التدمير الشامل وتخفيف الأسلحة التقليدية، والسلاح الذري بالإضافة إلى قضايا الإعتراف والتطبيع والسياحة والتبادل التجاري.

ولقد دأبت الولايات المتحدة على الحديث عن الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط مشيرة إلى أدوار سلبية أو ايجابية لثلاث دول فقط هي:

– اسرائيل وتركيا وايران، وهذه هي المرة الأولى التي يجري فيها الحديث الأميركي عن دور عربي عبر سورية في تنفيذ الأمن الإقليمي وكان يفترض منطقياً أن يؤدي هذا الطرح إلى تليين الموقف السوري وإلى التقدم خطوة أكبر باتجاه تفاهم أميركي – سوري، ولكن ذلك لم يحصل بالدرجة التي كان يتوقعها كريستوفر، ويعود ذلك إلى أسباب متعددة أبرزها:

١ – الولايات المتحدة لا تزال تضع اسم سورية على لائحة الدول المسماة إرهابية أو تدعم الإرهاب ولا شيء جديد بصدد هذه القضية.

٢ – لا تزال الولايات المتحدة تواصل المطالبة بتطبيق اتفاق الطائف في لبنان والدعوة لانسحاب القوات السورية كشرط مساوٍ للإنسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان.

وهذه الأمور توضح بشكل جلي طبيعة الجو الذي كان يهيمن على مباحثات كريستوفر في دمشق.

الأخطاء الأميركية التي أفشلت جولات المفاوضات العشر :

يوم أعلن عن فشل الجولة العاشرة من المفاوضات الثنائية في واشنطن يوم

١٩٩٣/٧/١ تم الإعلان في الوقت نفسه عن فشل المفاوضات العربية-الإسرائيلية، وإعلان فشل المبادرة الأميركية نفسها والفشل البادي هو مسؤولية أميركية بالأساس، ذلك الفشل بدأ منذ أن تم وضع حجر الأساس والذين وضعوا حجر الأساس بطريقة خاطئة، حكموا على مهمتهم سلفاً بالفشل.

الخطأ الأول : منذ البداية في ١٩٩١/٣/١٢ دعا بيكر الوفد الفلسطيني إلى تجاوز صيغة المؤتمر الدولي باتجاه مفاوضات ثنائية مباشرة تحت رعاية الولايات المتحدة وروسيا شكلاً.

الخطأ الثاني : رفض بيكر مبدأ البحث في مضمون حق تقرير المصير وإلغاء الإستيطان وعدم ضم القدس إلى اسرائيل وكان مصراً على أن تجري المفاوضات بدون شروط مسبقة.

الخطأ الثالث : رفض بيكر مفاوضة وفد فلسطيني باسم منظمة التحرير كما رفض تشكيل هذا الوفد من فلسطيني الداخل والخارج والقدس.

وعلى أساس مضمون هذه الأخطاء الثلاثة تمت صياغة ورقة الدعوة إلى مؤتمر مدريد كما تمت صياغة أوراق الضمانات من الإدارة الأميركية إلى الأطراف المباشرة وتم افتتاح مؤتمر مدريد يوم ١٩٩١/١٠/٣٠.

أبرزت المفاوضات الثنائية عبر جولاتها الثمان برعاية بوش وبيكر مسألتان أساسيتان يمكن ضمهما إلى قائمة الأخطاء:

المسألة الأولى: حين وضعت واشنطن لنفسها قاعدة تقول أنها ترفض الضغط على اسرائيل.

المسألة الثانية: حين وضعت واشنطن لنفسها مفهوم أساسه أنه ما دامت المفاوضات متعثرة فليقبل الفلسطينيون ما تعرضه اسرائيل وليتم البناء بعد ذلك عليه.

عندما جاء كلينتون تطورت الأمور نحو الأسوأ عندما أعلنت واشنطن أنها ستعمل منذ الآن على أنها شريك كامل في المفاوضات وبالطبع فقد كان المقصود تبنياً كاملاً للموقف الإسرائيلي، وتخلياً كاملاً عن الموقف الفلسطيني، وبذلك واصل

كريستوفر موقف سلفه بيكر برفض الضغط على اسرائيل وباتباع قاعدة قبول ما تعرضه اسرائيل.

ولم تكتف الولايات المتحدة بمواصلة ارتكاب الأخطاء في جولات المفاوضات فقط بل سعت إلى توسيع دائرة ارتكابها للأخطاء وبشكل يمس الجانب العربي، وانحازت بالكامل إلى جانب اسرائيل وتمثل ذلك في ثلاث قضايا أساسية:

* قضية الإستيطان.
* قضية المبعدين.
* المقاطعة الإقتصادية العربية لاسرائيل.

- في تونس وعبر التقرير التقييمي الذي قدمه الدكتور صائب عريقات تم التأكيد على النتيجة التالية: [أميركا تتحدث الآن عن فرض المنهجية الأميركية للتفاوض وعلينا أن نتوقع محاولة فرض المضمون].

- في اللاذقية التقى الرئيسان حافظ الأسد وحسني مبارك حيث خلصا إلى نتيجة مفادها أنه [من الضروري ايجاد أوراق قوة جديدة لمواجهة الموقف الأميركي والضغوط المنتظرة].

- في عمان التقى عرفات بالملك حسين وبعد بحث واتفاق على سلبية الوثيقة الأميركية تسربت أنباء تتحدث عن بناء علاقة أردنية - فلسطينية كونفدرالية مبكرة [كوسيلة لتخطي الضغوط من أجل القبول بحكم ذاتي منقوص].

ويستدل من هذه الأحداث التي وقعت في وقت واحد ومتناغم في العواصم الثلاث أنَّ جرس الإنذار قد قرع، وأن مرحلة جديدة من الدبلوماسية قد بدأت والعنوان الأساسي لهذه المرحلة هو انتقال الولايات المتحدة الأميركية إلى مرحلة الضغط على الفلسطينيين والعرب لقبول الصيغ الأميركية شبه المفروضة من خلال:

«بيان الدول الصناعية السبع وفي بيان مجلس الشيوخ الأميركي، وفي جولة دنيس روس التي تروج لحكم ذاتي فلسطيني معين».

وأساس هذه الضغوط المفهوم الجديد للإستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط الذي أكد على نظرية الدمج بين مصالح أميركا ومصالح اسرائيل في

مواجهة خطرين أساسيين هما:

«خطر التطرف الديني - وخطر امتلاك أسلحة الدمار الشامل من طرف واحد».

بالإضافة إلى أن اميركا رصدت اعتمادات مالية حسب خطة آسبن لدعم اسرائيل عسكرياً ولتطوير ميناء حيفا من أجل أن يصبح قاعدة لاستقبال واستقرار الأسطول السادس الأميركي، وأمام ما ذكر ارتفع صوت الدعوات القائلة «انتهت عملية السلام بشكلها المتعارف عليه ولا بد من إعادة صياغة للإستراتيجية الفلسطينية».

إن البند الأساسي في صياغة الإستراتيجية الفلسطينية يجب أن تستند إلى استراتيجية عربية حتى يكتب لها النجاح، ومن هنا تبرز أهمية الدعوات التي أطلقها الرئيس الأسد، ولكن الأمور بالنسبة إلى الفلسطينيين لا يمكن أن تعني الإنتظار حتى يتحقق الوفاق العربي ولا بد من القيام بسلسلة من التحركات الفورية والمتدرجة على كافة الصعد العربية عموماً والأردنية والسورية واللبنانية على وجه الخصوص.

إن المنظمة تحتاج في هذه المرحلة بالذات إلى تضامن عربي فاعل وإلى جهود دؤوبة ومتنوعة وإلى لغة سياسية واضحة وصريحة تتجاوز العموميات وتقفز من فوق الحساسيات، وتمتلك رؤيا وخيالاً خلاقاً وإرادة وحزماً وحسماً للوصول إلى الهدف المنشود.

١٩٩٣ عام التحولات الفلسطينية :

سيؤرخ للقضية الفلسطينية من خلال عامين :عام ١٩٤٨ الذي شهد احتلال فلسطين وولادة دولة اسرائيل وعام ١٩٩٣ الذي شهد اتفاق اوسلو «اتفاق المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي حول الحكم الذاتي» وهو الإتفاق الذي عرف باسم غزة وأريحا أولاً وترافق مع اعتراف فلسطيني باسرائيل، واعتراف اسرائيلي بالمنظمة.

وسيذكر العام ١٩٩٣ على أنه عام المصافحة التارخية بين ياسر عرفات

واسحق رابين في البيت الأبيض حيث ألقى رابين خطاباً عدد فيه مآثر نضال اليهود من أجل فلسطين بينما خلا خطاب عرفات من أي ذكر لملحمة النضال الفلسطيني أو لمأساة الإضطهاد الصهيوني للشعب العربي الفلسطيني المشرد.

وبعيداً عن هذه الرموز ومعانيها فقد كان العام ١٩٩٣ مليئاً بالتحولات الحاسمة بصدد القضية الفلسطينية من جميع جوانبها.

* **التحول الأول** : الإتفاق نفسه : سرية في خطوات وإجراءات التنفيذ-تراجع فلسطيني عن المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني وحتى عن شرعية القرارات الدولية.

* **التحول الثاني** : عبرت المعارضة الفلسطينية عن نفسها برفض الإتفاق ودعت إلى إنشاء منظمة تحرير بديلة «حماس والفصائل العشر».

* **التحول الثالث** : كان في العلاقة الفلسطينية - العربية حيث تولد عنه خلافاً عميقاً سواء كان معلناً أو مضمراً عندما اعتبر أكثر العرب أن الحل هزيل ومنفرد وخروج عن التنسيق وإضعاف للموقف التفاوضي العربي.

* **التحول الرابع** : كان في العلاقة الأميركية والغربية عامة مع منظمة التحرير الفلسطينية عندما استقبل عرفات من أوسع الأبواب الأميركية والأوروبية وعندما خصصت المنظمة بعدد من المليارات لبناء الحكم الذاتي.

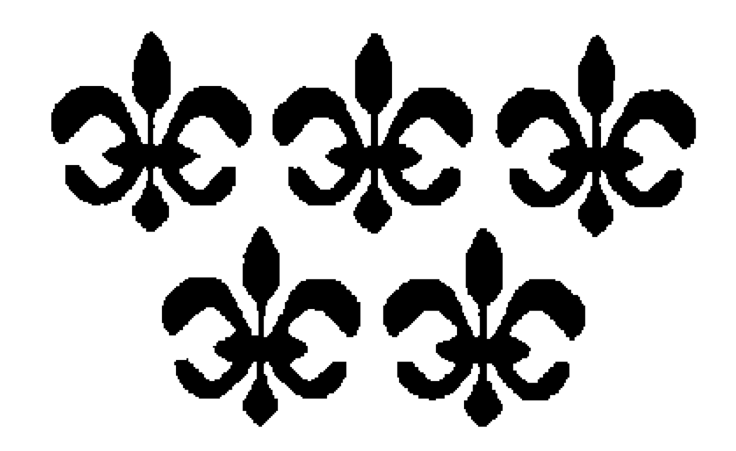
وفي حصيلة هذا كله تواجه المنظمة خيارين صعبين:

- **الأول** : الإندفاع نحو تحالف اقتصادي مع اسرائيل على حساب تحالف اقتصادي وسياسي مع الأردن والعرب.

- **الثاني** : الإندفاع نحو بناء اقتصاد خدمات وبإشراف مباشر من الدول المانحة للمساعدات.

لقد قلبت أحداث العام ١٩٩٣ وضعية العمل الوطني الفلسطيني رأساً على عقب وأنتجت احتمالات جديدة للمستقبل.

البعض راهن أنّ بعض هذه الإحتمالات ستقود إلى دولة مستقلة، بينما يرى البعض الآخر هزيمة للمشروع النضالي الفلسطيني في مواجهة اسرائيل. وبالطبع فإنه سينشأ عن ذلك صراعات سياسية وفكرية وايديولوجية ستكون حاسمة وستكون سمة السنوات المقبلة.



الفصل الثالث
إتفاق اوسلو

خيار غزة - أريحا أولاً :

إن هذا الخيار ليس من النوع الذي يقبل أو يرفض من حيث المبدأ، إنه قضية تنفيذية عملية تقبل أو ترفض استناداً إلى الشروط أو الظروف المحيطة به إذ أن كل إنحسار للإحتلال الإسرائيلي عن جزء من الأراضي العربية أمر مرحب به سلفاً إذا كان انحساراً فعلياً غير مربوط بشروط تعيق انحسار كامل الإحتلال في المستقبل.

فما هي الظروف التي أحاطت بخيار غزة- أريحا؟

عندما اشتدت أعمال الإنتفاضة في غزة دعا البعض الإسرائيلي إلى اقتراح غير رسمي بانسحاب من طرف واحد من هذا القطاع نظراً لارتفاع الكلفة وفقدان السيطرة حتى أنه بات يهدد اسرائيل في اقتصادها. في الشارع الفلسطيني تصاعدت أعمال الإنتفاضة وراحت الدعوات تنهال لوقف التفاوض مع اسرائيل.

الفكرة التي طرحت حظيت بتحريك أساسي لها من الجانب الفلسطيني وذلك حين قام عرفات بتقديم اقتراح رسمي إلى اسرائيل عبر الرئيس النمساوي يدعو إلى انسحاب اسرائيل من قطاع غزة ومن منطقة أريحا في الضفة الغربية «١٩٩٣/٨/٢٢» وبرز الفهم الأول الفلسطيني لهذا المشروع:

«انسحاب ضمن خطة كاملة تقضي بانسحاب اسرائيل من كافة الأراضي المحتلة وخيار الإنسحاب هذا بداية للحل النهائي».

كما برز الفهم الآخر الإسرائيلي لهذا المشروع:

«منطقة أريحا وغزة مشروعان نموذجيان لاختبار الحكم الذاتي الفلسطيني في مناطق لا وجود لأيّ مستوطنة فيها».

وزاد من صعوبة المشكلة أيضاً إضافة للخلافات في الفهم أن الإقتراح الفلسطيني يجعل الأردن طرفاً أساسياً فيه إذ لا يمكن الوصول إلى أريحا إلا عبر الأراضي الأردنية. وقد تبين أن المنظمة قطعت كل هذا الشوط دون أي تنسيق مع الجانب الأردني.

إن حالة اليأس التي تسيطر على قطاع واسع من الشارع الفلسطيني هدفها إبعاد شبح الجندي الإسرائيلي، وهذه ظاهرة قد تبدو شائعة. ولكن حالة اليأس التي راحت تسيطر على القيادات الفلسطينية كانت ظاهرة مروعة لأنها نابعة من موقف يدفع ثمنه جيل بعد جيل.

كان عرفات يتباهى بالقول للقيادات التي من حوله إذا تعبتم احضروا لي أبناءكم، فأنا لست الحاج أمين الحسيني يجب أن أصل في حياتي إلى شيء ما.

وكان هذا الموقف يفسر في حينه على أنه إصرار على الإنجاز وعلى نيل ثمن تضحيات الشهداء. ومع مضي الزمن تغير الموقف إلى وجه القبول بأي شئ من أجل الحصول على ذلك الإنجاز مهما كان نوعه، وجه الإنسياق مع التيار.

لقد كان اللهاث من أجل أن تعترف اسرائيل بالمنظمة على أساس أنه إنجاز عظيم، ولكن هل هو كذلك؟

اسرائيل ترفض أن تعترف بالمنظمة إلا إذا غيرت ميثاقها، وحذفت من فكرها السياسي إنها تريد تحرير فلسطين، وألغت من قاموسها أن الصهيونية حركة عنصرية استعمارية استيطانية توسعية. وماذا كانت النتيجة؟

النتيجة كما قال محمود درويش في كتاب استقالته: إن مؤسسات المنظمة ودوائرها ومكاتبها عاطلة عن العمل، إنها معروضة للبيع في المزاد، أنا لا أطالب بأكثر من تنظيم إدارة النهاية.

كنا نتوقع التراجع من الوفد المعارض فجاءتنا التراجعات من قيادة المنظمة، ولذلك لا مانع لدى اسرائيل الآن أن تعترف بالمنظمة بعد أن استوعبت أن الضباط أكثر ليونة من العساكر:

قال اسحق رابين: لقد ذهبنا إلى تسوية جزئية مع الفلسطينيين:

* دون المساس بالإستيطان اليهودي.

* دون المساس بالأمن.

* دون الإلزام بصورة أو بشكل الإتفاق النهائي.

بعد موافقة ٨ أعضاء في اللجنة التنفيذية على الإتفاق: أيها القادة ... يعطيكم العافية.

الفلسطينيون في البيت الأبيض هل تصدق؟ لقد أصبحوا مقبولين من الإدارة الأميركية ولم يعودوا إرهابيين وقد أعلنوا الإعتراف بالإسرائيليين وبالصهيونية أيضاً ولهذا فإن الفرح يعم أميركا.

في هذا اليوم الأغر سيولد منظرون جدد، وستولد كلمات سياسية جديدة، وستبدأ عملية ضحك على الكلمات السياسية القديمة.

في هذا اليوم، يوم الإحتفال يخرج اسحق رابين عن أصول التهذيب الذي يقتضيه حفل الفرح في البيت الأبيض ويعلن أن ٨٠٪ من خطة تطبيق اتفاق المبادئ الإسرائيلي - الفلسطيني لا تزال بحاجة إلى التفاوض بشأنها ويحدد رابين خمسة أمثلة للتفاوض المطلوب:

أولاً : يصر رابين أنَّ لفلسطينيي القدس الشرقية حق الإنتخاب وليس لهم حقوق الترشيح.

ثانياً : لا ينوي رابين في هذه المرحلة إلغاء قرار إغلاق الأراضي المحتلة المفروض منذ شهر.

ثالثاً : لن يكون هناك ممر بين غزة وأريحا.

رابعاً : إن نقل السلطات إلى مجلس الحكم الذاتي يشمل:

أ - خطوط وقف إطلاق النار.

ب - الجسور مع الأردن.

جـ - منطقة العبور في رفح مع مصر.

خامساً : أكَّد رابين معارضة اسرائيل بالإنسحاب إلى حدود العام ١٩٦٧.

لذا نقول للأعضاء الثمانية في اللجنة التنفيذية للمنظمة الذين وافقوا على

الإتفاق ... يعطيكم العافية.

لماذا هذا الجدل الأعرج ؟

خطأ كبير أن يستمر الحوار والجدل حول الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي كما هو قائم حتى الآن.

هناك اتفاق، وهناك معارضون لهذا الإتفاق، ولكن الحوار والجدل لا يجريان على أساس ذلك بل هناك معتدلون وهناك متطرفون، هناك مؤيدون للسلام وهناك معارضون للسلام، وأمام هذه الثنائية الخادعة يجري القفز من فوق مشروع الإتفاق، الحقيقة أنه يوجد خلاف فلسطيني موضوعي، خلاف بين أهل البيت أنفسهم، خلاف حول انفراد بضعة أشخاص لا يتجاوزون الخمسة بتقرير مصير الشعب الفلسطيني خلسة من وراء ظهر كل مؤسساته الشرعية ونعني بها المنظمات التي اختارت بنود التراجعات بدقة الهاربين إلى الموقف التبسيطي القائل «نحن مع ما يختاره الفلسطينيون لأنفسهم. لقد كانت معركة التفاوض مع اسرائيل معركة صعبة للغاية، وهي الآن وبسبب اتفاق اوسلو السري ستكون أصعب من السابق بكثير، وهي صعوبة جديدة ورط الشعب الفلسطيني بها حفنة من الأشخاص، أعطوا لأنفسهم حق النيابة عن الشعب الفلسطيني وعن مؤسساته الشرعية.

دراسة قانونية : طلبتها المنظمة ونقضتها :

لخمس سنوات على الأقل سيبقى الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي موضع أخذ ورد بين الفلسطينيين والعرب - وجهات نظر عديدة - إلى أن يتم إنجاز الإتفاق النهائي الذي لا يعرف أحد كيف سيكون المواطن العادي يرى في الإتفاق قشرته الظاهرة، يرى أن الجندي الإسرائيلي سيخرج من مدينته أو من قريته، ويرى أن العلم الفلسطيني سيرتفع فيفرح ويؤيد.

أما القائد والمسؤول فيبحث عن إجابة للأسئلة الكبرى «السيادة والمستقبل والمصير»، إن القيادة الفلسطينية جاهلة بما تريد ولم تكن جاهلة بما يطلبه

الأميركيون والإسرائيليون منها ورغم ذلك قبلت ووقعت متجاهلة كل التوصيات والدراسات التي طلبتها والتي أعدت لها.

مع بداية مفاوضات مؤتمر مدريد طلبت المنظمة رأي استاذ خبير في القانون الدولي في شكل الإتفاقية المؤقتة للحكم الذاتي، وفي ١٩٩٢/١٢/١٠ قدم فرانسيز بويل الأميركي من أصل ايرلندي مذكرته الواضحة إلى المنظمة، والذي حدَّث هو أنَّ موافقة المنظمة جاءت على عكس ما هو مذكور في مذكرة الخبير وخاصة فيما يتعلق بـ:

* **مرجعية القرار ٢٤٢**، لقد جاء الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي خالياً من أي إشارة للقرار ٢٤٢ كمرجعية للمرحلة الإنتقالية.

* **أسلوب التوقيع**: لم يجرِ التوقيع بالأحرف الأولى كما تم الإتفاق ولم تعرض الإتفاقية على المجلس الوطني الفلسطيني، ولم يتم تفويض شرعي بالتوقيع عليها.

* **القبول بشرعية الإحتلال**: خاصة فيما يتعلق بإعادة إنتشار القوات الإسرائيلية. وتوضيحاً لذلك قال رابين في خطابه أمام الكنيست الإسرائيلي يوم ١٩٩٣/٨/٣٠ «الأمن، وبكل ما يتعلق بالإسرائيليين ليس فقط للمستوطنات، بل لكل اسرائيلي حيث يتواجد بالنسبة لما يصيبه وما قد يصيبه، هذا الأمن هو بيد اسرائيل».

* **حق التشريع**: بموجب الإتفاق تم تنازل فلسطيني عن حق إنشاء مجلس تشريعي منتخب وتم الإتفاق فقط على انتخاب مجلس بدون إعطائه أي صفة تشريعية، هناك أمور أخرى يمكن الحديث عنها كلها تتعلق أيضاً بأمور القدس والمستوطنات والأوامر الإسرائيلية العسكرية ووضع المدنيين العسكريين ... بقي ٥ سنوات، وربما تكون هذه السنوات حبلى بالمفاجآت.

تداعيات الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي:
مشروع سياسي أم مشروع أمني واقتصادي؟

حتى الآن يبدو أن السائرين في مجرى الإتفاق لا يملكون رؤية واضحة للمستقبل، لا بسبب عجز ذاتي عن صياغة هذه الرؤية، بل لأن ما يصفونه وما يحلمون به لم يعد مرتبطاً بهم وحدهم فقط بل أصبح أمراً مشتركاً بينهم وبين حلفائهم الجدد أميركا واسرائيل.

في تركيا تحدث عرفات فقال: إن الإتفاق سيؤدي إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس وسيرتفع العلم الفلسطيني فوق الأرض الفلسطينية وقد نقيم في النهاية اتحاداً كونفدرالياً مع الأردن.

وجاء الإتفاق فكانت له صياغة فلسطينية جديدة: عبر عنها الدكتور حيدر عبد الشافي المؤيد للسلام، المعارض للإتفاق بقوله: إنَّ القبول بوجود كيانين فلسطيني واسرائيلي ممثلاً بالمستعمرات والمستوطنين إنما يقيم الحواجز الكثيفة أمام خيار الدولة الفلسطينية المستقلة، إن لم يجعله غير وارد بالمرة.

وهناك صياغة عربية يعبر عنها المسؤولون السوريون مثلاً في أحاديثهم العلنية وهي تركز على أن الإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي لا يعالج أي قضية أساسية بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني فهو لا يضمن الحقوق ولا يستعيد الأرض محررة، بل هو اتفاق مفتوح على المجهول، يحول جزءاً من الشعب إلى شرطة لحماية اسرائيل، وهو ورقة في يد اسرائيل لمطالبة العرب بالمزيد من التنازلات، وهناك صياغة اسرائيلية وربما تكون الصياغة الأهم في كل ما يجري وذلك لسببين هما:

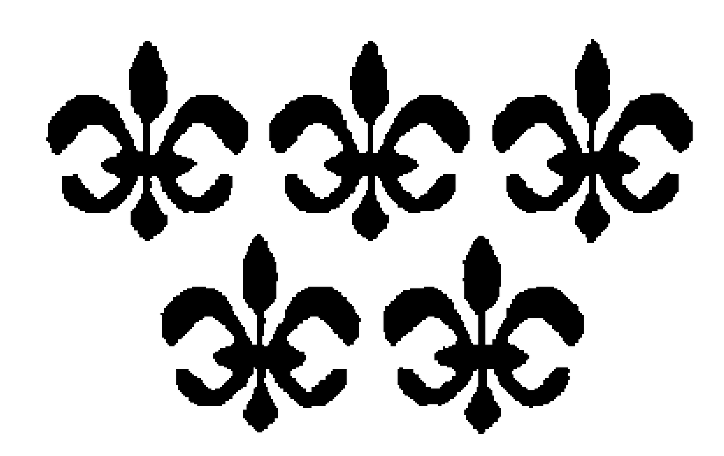
الأول : أنها الطرف الثاني الموقع على الإتفاق.

الثاني : أنها الطرف الأقوى في المعادلة.

- شمعون بيريس يطرح الهدف الإقتصادي فيقول: يتعين تعبئة الرساميل لإقامة شرق أوسط جديد تكون اسرائيل جزءاً منه وكأن الإتفاق وحيد المنظور «الإقتصادي فقط».

- الجنرال إيهـود باراك رئيس الأركـان الإسـرائيلي يطرح الهـدف الأمني فيقول: «إن المهمة الأكثر صعوبة خلال الحكم الذاتي ستكون مكافحة الفلسطينيين وهو أمر سيكون علينا القيام به بالتعاون مع الشرطة الفلسطينية».

إذن أين الهمـوم الأساسية للمـسألة الفلسطينيـة وأهدافـها السياسية؟



الفصل الرابع
أبرز المؤيدين ... أبرز المعارضين

اتفاق غزة – أريحا قلب المسيرة الفلسطينية رأساً على عقب. البعض يقول باتجاه الدولة المستقلة، بينما يرى فيه البعض مسيراً نحو المجهول، ونحو التبعية لاسرائيل. بعد أن قيل ما قيل حول الإتفاق وبنوده، دفاعاً عنه أو تنفيذاً له، تبقى المساجلة التاريخية قائمة ومفتوحة، وما يكتب في التاريخ عصي على التبديل والتحويل.

إن كل اختيار يمكن ايجاد بديل عنه، ولكن كل اختيار من هذه الإختيارات هو نموذج لحالة إنسانية وقيادية وتنظيمية ونضالية:

* المعارضون :

- **خالد الحسن** : عضو في قيادة حركة فتح: كان دائماً يتهم اليسار الفلسطيني ويتخوف من مؤامرة ويدعو إلى بناء سياسة فلسطينية تقوم على أساس الثقة لذلك كان ينتقد أسلوب التسرع في مفاوضات واشنطن ويدعو إلى استقلال مصالح الغرب في الشرق الأوسط في إجراء تسوية عادلة في المنطقة، من أهم معارضته أن الإتفاق تجاهل حقوق اللاجئين الفلسطينيين منذ العام ١٩٤٨، معارضته كانت منطقية ولم يتتبع شرح وتحليل عملية التفاوض منذ أن بدأت.

- **محمود درويش** : عضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، رجل ثقافة يمتلك عقلاً سياسياً حاداً ومرهفاً، يؤدي شعره بعيداً عن أي منصب، وحين بدأت المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية بعد مدريد كان محمود درويش قريباً من لجنة صنع القرار، ومن هذا الموقع أيد مسيرة التسوية السياسية، وما أن لاحت نذر اتفاق اوسلو حتى حسم محمود درويش موقفه، فأعلن

استقالته من اللجنة التنفيذية للمنظمة ثم قدم استقالته معللة قال فيها: نودع بشكل فوضوي مرحلة تاريخية وندخل مرحلة أخرى لم نعد لها عدتنا بعد والمنظمة بكل ما فيها قد انتهت».

- **ادوارد سعيد** : هو من المهجرين الفلسطينيين ومن أشهر نقاد الأدب في أميركا، وحظي بمكانة فتحت أمامه أبواب أجهزة الإعلام، كان يتصرف كفلسطيني يحمل الجنسية الأميركية.

عام ١٩٧١ انتمى إلى المجلس الوطني الفلسطيني، لم يكن متطرفاً في السياسة، بل كان يؤمن بالحل الوسط بين الفلسطينيين واليهود. اعترض على اتفاق اوسلو فقد رأى أن هذا الإتفاق لا يلبي الحد الأدنى من مطالب الشعب الفلسطيني ويتجاهل قضية فلسطينيي ١٩٤٨ ويترك القدس في مهب الريح ويجعل سلطة الحكم الذاتي حليفاً لاسرائيل في موضوعي الإدارة والأمن فقط.

- **حيدر عبد الشافي** : قاد مفاوضات ما قبل اتفاق اوسلو وهو من زعماء قطاع غزة وأحد المبعدين القلائل الذين تمكنوا من العودة، ترأس الوفد الفلسطيني المفاوض وتميز أداءه في إدارة المفاوضات بالإحترام والسرية والبعد عن الأضواء واختيار نقاط البحث المناسبة التي تقوي الموقف التفاوضي، ولكنه اختلف مع القيادة في تونس على عدد من نقاط التفاوض الجوهرية:

حين تم الإعلان عن اتفاق اوسلو لم ينزعج لأن الإتفاق تجاهله وألغى دوره بل غضب لأنهم قبلوا كل ما تم رفضه في مفاوضات واشنطن وقاطع حفل الإفتتاح في واشنطن وأعلن اعتراضه على هذا الإتفاق.

- **بشير البرغوثي** : المؤيد المعارض لاتفاق اوسلو من أعضاء الحزب الشيوعي الفلسيطني وقد وصل إلى الأمانة العامة للحزب حتى وصل إلى تكوين بنية جديدة تحمل اسم حزب الشعب ويدعو لتعاون كل من يعمل ضد الإحتلال الإسرائيلي مهما كانت هويته.

أيد بشير وحزبه صيغة مدريد ومفاوضات واشنطن الثنائية واعترض على أسلوب إدارة التفاوض حول الإتفاق خاصة قضية المبعدين وحول بنود الورقة

الأميركية.

* المؤيدون :

- **محمود عباس «أبو مازن»** : تفرغ لفترة للعمل الفدائي في حركة فتح، له نفوذ ملحوظ، وكان ينظر إليه على أنه أحد قادة الجناح اليميني في هذه الحركة.

بدأ محمود عباس بإقامة اتصالات مع قادة الحزب الشيوعي الإسرائيلي راكاح وبذل جهوداً واضحة لإنجاح نواب فلسطنيين في الكنيست الإسرائيلي. يدافع محمود عباس عن الإتفاق دون تحفظ ويعتبره إنجازاً تاريخياً بشرط المباشرة فوراً بالتفكير بفاعلية الدولة والمؤسسات والعمل الجماعي والإعتماد على الكفاءات.

- **ياسر عبد ربه** : انشق عن تنظيمه الأصلي الجبهة الديمقراطية من أجل التحالف مع عرفات منذ العام ١٩٧١ أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية بالوكالة، ولم تثبت عضويته إلا في الدورة التالية للمجلس الوطني الفلسطيني. اتسمت تجربته السياسية بالتطرف، فهو في الأردن من دعاة تنظيم انتفاضة شعبية لإسقاط النظام العام ١٩٧٠، وهو في بيروت من دعاة مواجهة السوريين حتى النهاية، وهو في العلاقات التنظيمية مستعد لاتخاذ أقصى العقوبات تجاه مخالفيه أو معارضيه.

شارك في لجنة الإشراف على المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية في واشنطن ثم مشاركته في لجنة الإشراف على مفاوضات اوسلو السرية، وهو يطمح في أن يكون له دور سياسي في إدارة الحكم الذاتي المقبلة.

- **أميل حبيبي** : أيد مفاوضات مدريد بحماس ثم أيد مفاوضات واشنطن أيضاً وطرب عندما جاء اتفاق اوسلو، نال جائزة اسرائيل للثقافة وتسلمها من اسحق شامير.

كان اميل حبيبي شيوعياً، بل عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الإسرائيلي راكاح ومن موقفه دعا إلى الإعتراف باسرائيل وقبول قرار التقسيم

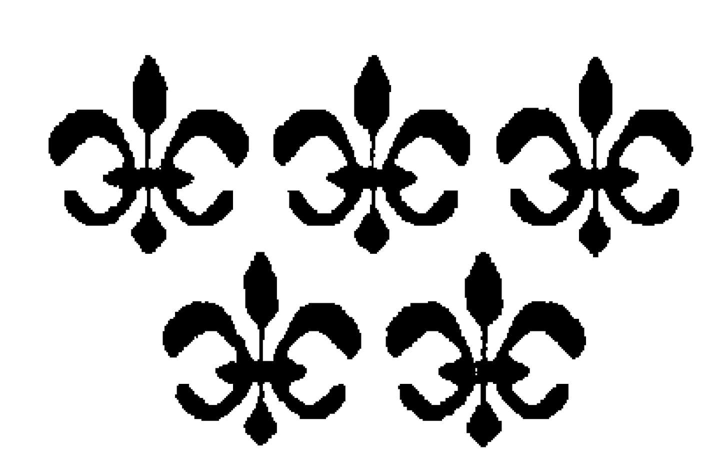
وإلى خوض معركة السلام على كل الجبهات بما في ذلك التطبيع الثقافي. يدافع عن الإتفاق بحماس وعن القيادة الفلسطينية التي انجزت الإتفاق ويطالب بالمساواة في التعامل مع الجانب الإسرائيلي خصوصاً في مستوى الديمقراطية والدستورية.

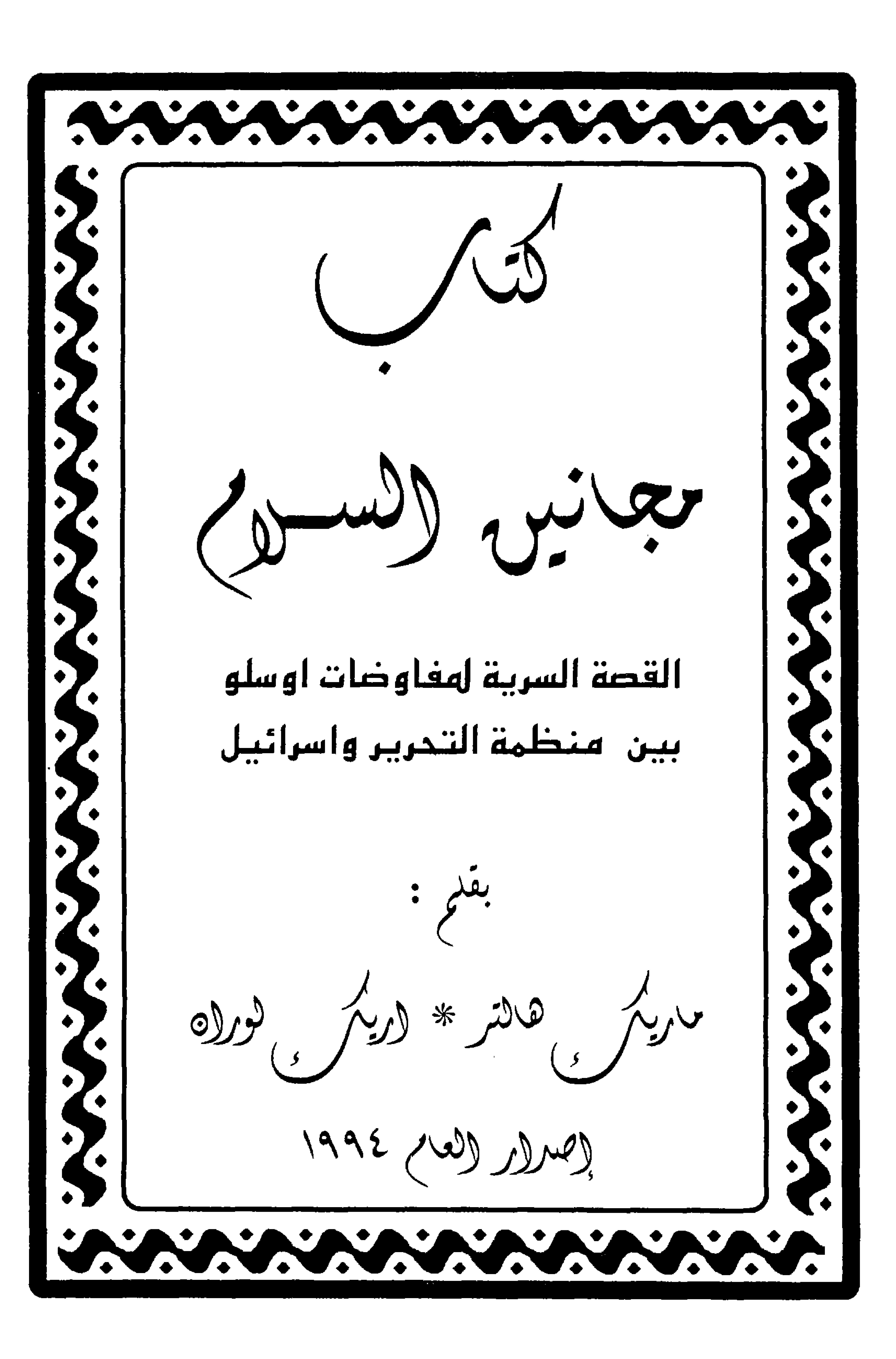
- **نبيل شعث** : يكاد يكون الأكاديمي الوحيد داخل حركة فتح جاء إلى السياسة عبر العمل النقابي الطلابي، التحق بالعمل الفدائي بعد نكسة حزيران ١٩٦٧، يمارس السياسة بمنطق الإدارة. اسندت له حركة فتح في مطلع السبعينات في بيروت مهمة الإشراف على مركز التخطيط الفلسطيني ومن خلال ذلك أطلق شعار دولة فلسطين الديمقراطية.

تسلم بدعم من عرفات منصب رئيس دائم لاجتماعات اللجنة السياسية في المجلس الوطني الفلسطيني. لم يشترك في مفاوضات اتفاق اوسلو ولكنه كان الرجل الذي يقود مفاوضات تطبيق هذا الإتفاق، ونقطة القوة لديه أن يمارس أعماله على أساس دعم عرفات له السياسي وخبرته الإدارية الناجحة.

- **سري نسيبه** : اسند له عرفات مهمة الإشراف على تنظيم فتح الثوري، أنشأ اللجان السياسية واستطاع أن يضم إليها العديد من نشطاء الإنتفاضة المطاردين، ينتمي إلى عائلة مقدسية ذات صلات وثيقة مع النظام الأردني، وهو استاذ في جامعة بيروت، أصدر مع مارك هيلر الإسرائيلي المغربي من حزب العمل كتاباً بالإنجليزية ضمن فيه كل واحد منهما تصوراته للتفاهم الفلسطيني - الإسرائيلي.

أيد سري نسيبه صيغة مدريد بحماس، وأيد مفاوضات واشنطن، واعترض على المواقف المتصلبة للوفد المفاوض، ثم أعلن تأييده لاتفاق اوسلو.





كتاب

مجانين السلام

القصة السرية لمفاوضات اوسلو
بين منظمة التحرير واسرائيل

بقلم :

ماريك هالتر * اريك لوران

إصدار العام ١٩٩٤

كتاب

مجانين السلام

* تأليف ماريك هالتر الكاتب اليهودي المعروف - أريك لوران الخبير بكواليس البيت الأبيض.

* إصدار دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٩٤.

* **هذا الكتاب** : يحكي القصة السرية للمفاوضات التي دامت تسعة أشهر في اوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل.

تسعة أشهر تمخضت في النهاية عن أشهر مصافحة في نهاية القرن العشرين بين عرفات ورابين في حديقة البيت الأبيض الأميركي.

* يقع هذا الكتاب في ٢٤٦ صفحة على ٢٠ فصلاً.

* **الفهرس** :

١١ - الوصفة مشهية ولكن الطهو فاشل.

١٢ - عرفات على مر الأيام.

١٣ - السلم في خطر.

١٤ - مصر تتوسط.

١٥ - أميركا المعمي على بصرها.

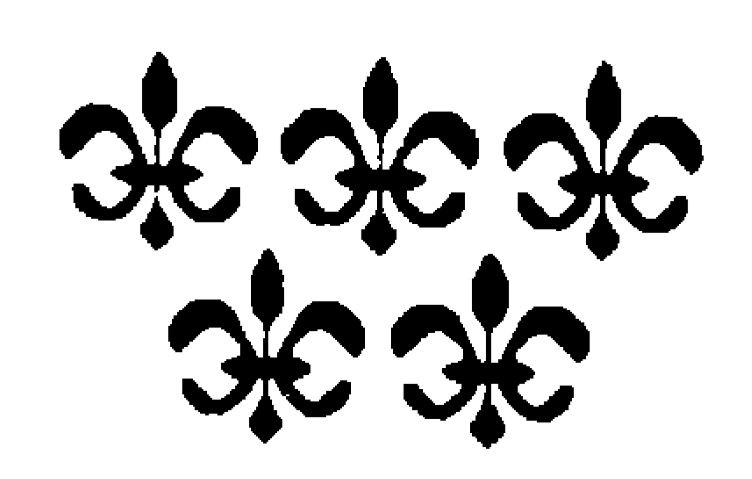
١٦ - رابين الصامت.

١٧ - اوسلو زيارة خالية من كل أهمية.

١٨ - آباء وأبناء.

١٩ - المواجهات الأخيرة.

٢٠ - شعوب الكتاب.



أ - هل في البيت الأبيض قرآن :

في الساعة الثالثة من صبيحة ١٣ ايلول ١٩٩٣ جلس بيل كلينتون إلى طاولة مستديرة ليقرأ على مهل مسودة خطاب سيلقيه بعد أقل من تسع ساعات في حديقة البيت ليتوج به حدثاً تاريخياً كان يجهل عنه كل شئ قبل اسبوع واحد لاغير: الإعتراف المتبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وتوقيع اتفاق سلام بين الخصمين اللدودين، وبما أن بيل كلينتون قد عرف عنه قلة الدراية في شؤون السياسة الخارجية فقد عقد العزم على تركيز اهتمامه كله على ذلك الخطاب.

قرأ كلينتون الخطاب وقرأ شواهد كثيرة من آيات التوراة وعززها باستشهادات مطولة من سفر يشوع.

في الساعة الثامنة والدقيقة الأربعين اتصل انتوني ليك رئيس مجلس الأمن القومي بالمكتب البيضاوي هاتفياً وشرح لكلينتون بعبارة بادية الحرج أن أحد معاونيه قد لاحظ أن الخطاب الرئاسي لا يتضمن أي إحالة إلى الإسلام. وأضاف ليك قائلاً: أن الرئيس عرفات والشخصيات العربية الحاضرة سيصدمون ولا بد.

وبدأت عملية البحث عن كتاب المسلمين المقدس ولم يعثر عليه في البيت الأبيض وانتهى الأمر بأن تم شراؤه من مكتبة مجاورة.

وبعد أن جرى تعديل النص بما يتفادى الكارثة الدبلوماسية استقبل كلينتون ضيوفه.

في ١٢ تموز الساعة ١٥.٤٥ حطت طائرة عرفات في قاعدة اندروز العسكرية، لقد كانت الزيارة الأولى من نوعها على التراب الأميركي باستثناء إقامة قصيرة في نيويورك في العام ١٩٧٤ لإلقاء خطاب من فوق منصة منظمة الأمم المتحدة.

استقبله عند الطائرة ادوارد دجرجيان مساعد وزير الخارجية الأميركي «مسؤول من رتبة متوسطة» - ليس هذا المهم، المهم أن تحين الساعة المنتظرة لأخذ مكانه تحت الشمس - وبعد ساعتين من الوصول استقبل عرفات جيمي كارتر ثم جورج بوش عندها شعر عرفات أنه محمول على جناح التاريخ.

في صبيحة اليوم التالي استقبل مسؤولي البنك الدولي في فطور عمل حيث ابدوا استعدادهم لتقديم مساعدة بثلاثة مليارات دولار. بالنسبة إلى اسحق رابين فقد صرح لمجموعة من الأصدقاء في داره بأنه ليس ثمة إلا وسيلتان لمواجهة الواقع: حرب مطولة مليئة بالعنف والخوف أو العيش بسلام وكلاهما مجازفة، والإتفاق لا اعتبره أحسن ما كان يمكن لاسرائيل أن تحصل عليه.

كانت الإدارة الديمقراطية قد صممت احتفال واشنطن كما لو أنه استعراض ضخم، فإذا سيجري نقله إلى أكثر من مئة بلد، فإنه سيتيح لبيل كلينتون أن يقطف ثمار خمس وعشرين سنة من الدبلوماسية الأميركية في الشرق الأوسط.

ابتداء من الساعة التاسعة والنصف صباحاً شرع جمهور المدعوين المقدر تعدادهم بألفين وخمسمئة بالتجمع. وفي الساعة العاشرة والنصف دلف الوفد الفلسيطني، كان وجه عرفات يطفح بابتسامة رجل يعيش حلماً من أحلام اليقظة، وقبل الحادية عشرة بأربع دقائق طلب بيل كلينتون من أعضاء الوفدين أن يتهيأوا للخروج والتوجه إلى الحديقة الجنوبية حيث سيدور الإحتفال. في الوقت المحدد ألقى كلينتون خطابه الترحيبي بنبرة واعظ مؤكداً إمكانية التوفيق بين أمن الشعب الإسرائيلي وتطلعات الشعب الفلسطيني.

في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين جلس بيريس وأبو مازن الشخصية رقم ٢ في المنظمة إلى طاولة خشبية كبيرة هي عينها التي استخدمت العام ١٩٧٩ في توقيع اتفاقية الصلح بين اسرائيل ومصر. وفي الساعة ٤٣ , ١١ انتهى الرجلان من التوقيع بالحروف الأولى. كانت الوثيقة تتضمن ١٩ بنداً و٤ ملاحق، وكأن تلك الدقائق قد فكت السحر الشرير لخمس وأربعين سنة من النزاع المسلح.

بعد ذلك جاء الخطابان اللذان ألقاهما رئيس الوزراء الإسرائيلي ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ليكشف عن شواغل كل منهما.

بعد انفضاض الإحتفال: قال الفلسطينيون أن خطاب رابين قد خيب آمالهم، كما لاحظ الوفد الإسرائيلي أن عرفات ذكر باختصار شعب اسرائيل وقادته لكنه

لم يشر مرة واحدة إلى دولة اسرائيل.

في قاعدة الخرائط تحدث كلينتون قائلاً يجب أن تشعر اسرائيل بطمأنينة كاملة، ورد عرفات أنني آخذ على عاتقي مسؤولية ايقاف كل عنف. في المساء دعي مئة وعشرون من المصطفين إلى وليمة عشاء كبرى في البيت الأبيض وكان من جملة المدعوين الرئيسان السابقان بوش وكارتر.

وفيما كانت السهرة حافلة كان سبعة رجال مجتمعين في شقة سرية في منزل قريب على بعد ٤٠٠ متر من البيت الأبيض وأحدرجال وكالة المخابرات المركزية يتناقش مع مسؤولين في قوات الـ١٧ الفلسطينية ومع ثلاثة اسرائيليين من الموساد حول موضوع حماية عرفات من مصادر التهديد:

* **سوريا** : ولكن حافظ الأسد كان منخرطاً على ما يبدو في مفاوضات صعبة ودقيقة مع اسرائيل من أجل استعادة الجولان.

* **العراق** : حيث صدام حسين يمول جزئياً أبو نضال.

على أن الخطر الأكبر كان يأتي من محيط الزعيم الفلسطيني بالذات، وأخيراً تم الإتفاق على حماية عرفات فسلامته تولاها من كان بالأمس عدواً لدوداً «المخابرات المركزية الأميركية والموساد».

٢ - نظارات عرفات :

هذا السلام الباعث على الدهشة، المرغوب فيه والمخشي منه في شرق أدنى تمتزج فيه الأحقاد شبه الصوفية مع الإفتتان المتبادل، هل يتقدم فعلاً إلى الأمام؟ ربما كنا نريد أن نفهم كيف نجح الآخرون حيث فشلنا، وعلى هذا فقد رحلنا نبحث عن اولئك الرجال وعن طريقتهم، واكتشفنا هذه الطريقة، كانت مدهشة في بساطتها.

* في اوسلو بذل الفلسطينيون والإسرائيليون قصارى جهدهم ليضعوا على الورق جميع النقاط التي يمكن أن يقع بينهم اتفاق عليها، تاركين جانباً القضايا المختلف عليها.

* لقد اختار المتفاوضون أن يتصرفوا كما لو أن جوهر المشكلة محلول أساساً.

* تغير كبير بالمقارنة مع مساعينا، كنا نعتقد أنه يكفي أن يتخاطب الناس كيما يفهموا، كنا نقول أن العنف يقف حيث يبدأ الكلام، وقد غابت عنا الحقيقة البسيطة الآتية، وهي أن الكلام أيضاً ينقل العنف.

أما أبطال هذه القصة الخارقة للمألوف فقد كان الوصول إليهم صعباً «مشهورين ومغمورين - شبكات سرية - شبكة اتصالات سرية ومكثفة» وواشنطن هل كانت تعلم بما يجري في اوسلو؟

بلى بكل تأكيد ولكن دون الإيمان بجدواها لأن مفاوضات واشنطن متعددة الأطراف كانت مستمرة أيضاً، وعلى ما يبدو فإن الصغار إذا ما تركوا لحالهم تدبروا أمرهم بيسر.

ثمة أمران لا بد من ذكرهما :

- **الأول** : التفسيرات التقنية ليست هي كل شيء ولا كذلك أسرار الجغرافيا، إذ كيف لعبت النرويج دوراً في الشرق الأدنى؟

- **الثاني** : ما طبيعة التحول الذي طرأ على الذين كانوا يتحاقدون بالأمس ليتصافحوا اليوم؟

قال لنا بيريس : أنه الزمن هو الذي انضج الحدث «ثمة زمن الحرب وآخر للسلم».

كنا متواجدين في شباط ١٩٩١ في مكتب ياسر عرفات حيث راح يسألنا عن بيريس وحياته وأسرته ومدى تعاونه وإمكانية تقديم الدعم له بالإنتخابات الإسرائيلية القادمة.

لقد كتب ميكافيلي في "الأمير" ينبغي أن نعترف بأن الصدفة تحكم نصف أفعالنا وأننا لا نتحكم إلا بالباقي. بعد مضي شهرين على هذا اللقاء كنا في بيت بيريس ذات مساء جمعة فسألنا كيف حال صديقهم «المقصود عرفات» في تونس.

كان الرد أنه شيخ لقد اشترى لنفسه نظارات، فردد بيريس هكذا إذن، كما لو أن لهذا الخبر العادي أهمية سياسية فاصلة.

٣ - كانديد والفلسطينيون :

«كانديد بطل قصة لفولتير بالأسم نفسه يتعامل بسذاجة مع العالم».

يائير هرشفلد اسرائيلي من ابوين يهوديين نمساويين يسدد نظرة ساذجة وعنيدة إلى العالم. كان يؤمن بشيئين: بضرورة الحوار المباشر بين اسرائيل والفلسطينيين، وبالثقل الفاصل للإقتصاد كإسمنت للسلام، ولكن لأمد طويل لم تلق أفكاره صدى يذكر لدى الرأي العام فالغالبية في كل معسكر كانت تبدو منجذبة إلى إغراء التصلب واللجوء إلى القوة.

في حزيران ١٩٩٢ عمل كل من يوسي بيلن نائب وزير الخارجية الإسرائيلي وهرشفلد على إنشاء مركز أبحاث صغير باسم مؤسسة التعاون الإقتصادي.

كان مؤتمر مدريد قد انتهى إلى قرار ينص على أن مفاوضات ثنائية سيجري تنظيمها بين جميع الأطراف المعنية في العاصمة الأميركية، وفي نظر حنان عشراوي كانت النتائج المعززة أكثر من مخيبة للآمال لذلك برز اعتقادها أنه لا بد من خلق عدة شبكات موازية لأن مفاوضات واشنطن كانت عبارة عن مساجلة عامة بكل ما في الكلمة من معنى. كان هرشفلد يجهل وهو يتبادل الحديث مع مضيفته حنان عشراوي أنه يؤلف جزءاً من استراتيجيتها إذ على الخصوم أن يتقابلوا ويتعارفوا ويتفاهموا حتى وإن بقي المنطق السياسي لكل طرف على تناحره مع منطق الطرف الآخر.

مصادفتان تعطيان دفعة للقدر، لقد اكتشف بيلن أنه يتعين عليه هو الآخر أن يكون موجوداً في لندن يوم ٣ كانون الأول، ومن ثم سيكون في مستطاع هرشفلد أن يزوده بتقرير فوري من لقائه مع أبي العلاء القريب جداً من عرفات والذي يتولى إدارة الدائرة الإقتصادية في منظمة التحرير الفلسطينية والصدفة أيضاً هي التي شاءت أن يكون بطل آخر موجود في العاصمة البريطانية إنه تيرج

رود لارسن النرويجي الذي يدير معهد العلوم الإجتماعية التطبيقية، وهو الذي وعد بأن تكون النرويج مستعدة لتسهيل كل حوار بين الإسرائيليين والفلسطينيين «لأنها البلد المثالي، بعيدة عن الأضواء، وعن الطرق الدبلوماسية المطروقة عادة».

في الساعة العاشرة وصل أبو العلاء إلى الفندق المخصص في لندن مع عدد من المسؤولين الفلسطينيين وهناك التقى مع أحد المسؤولين الإسرائيليين وبحضور هرشفلد وانخرط الرجلان كلاهما في لعبة غريبة انطلاقا من اقتناع كل منهما بأن الآخر هو السائل عن مستقبل الأراضي وعن التفاوض والمأزق الشامل الذي آلت إليه مناقشات واشنطن ولكن السائد كان الشك.

في المساء التقى دان كورتزر أحد المسؤولين في الدبلوماسية الأميركية وطلب إليه إعلام البيت الأبيض بكل ما جرى.

وتم الإتفاق على بدء النقاش في اوسلو، بالنرويج.

في تونس كان الوضع على عين ما هو عليه من جحود في المعسكر الآخر، ولا يبدو مؤكداً أن أبا العلاء أعلم عرفات باتصالاته مع هرشفلد في لندن، ولا باحتمال إجراء مناقشات في النرويج، وأياً ما يكن من أمر فإن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ما كان يرى في ذلك فرصة سانحة ينبغي انتهازها على عجل، وكما سيفيدنا في تشرين الأول ١٩٧٣ «لم تكن هي القناة الأولى التي نفتحها، فما أكثر ما استكشفنا من أقنية في الماضي».

في ١٨ كانون الأول التقى لارسن النرويجي ياسر عرفات بحضور أبي العلاء وبعد نقاش اتفق الإثنان على تنظيم لقاءات ومناقشات موازية لمفاوضات واشنطن.

ما جرى بين كانون أول ١٩٩٢ وايلول ١٩٩٣ ما كان نتيجة لمبادرة نرويجية مزعومة، وما وجدت قط مبادرة نرويجية، بل فقط مناقشات ثنائية بين الإسرائيليين ومنظمة التحرير الفلسطينية، تولى النرويجيون تسهيلها، وهذا هو بالأصل السبب الذي جعل النجاح يكتب لها، فلقد كانت ولأول مرة مفاوضات مباشرة بلا وسيط.

والذي حدث بالفعل كما يروي رون بونديك أحد المفاوضين الإسرائيليين:

رسمياً لم يكن ثمة أي نقاش مباشر بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، ولو اكتشف الأمر ونشر في الصحافة لصنّفت المبادرة بأنها حلم رجلين مجنونين لا يستحقان أكثر من رفسة في قفاهما.

٤ - البداية هي نصف الكل :

النقطة المثيرة في هذا الموضوع هي استماعنا إلى القصة عينها تروى من قبل كل شاهد بصورة مغايرة، فكل واحد يحاول أن يستأثر بدور البطولة، كم واحد أكد أنه وراء هذه الفكرة العظيمة، كلهم تقريباً الفلسطينيون والإسرائيليون، الوجوه المشهورة عالمياً والمتشاورون غير الظاهرين، الإرهابيون الذين عقلوا وثعالب السياسة القدامى، بيد أن الإجماع ينعقد في المعسكرين حول الدور الفاصل ليائير هرشفلد فقد كان أول من أطلق وحده شرارة العملية.

يقال أن البداية بمثابة نصف الكل وعليه قصدنا أولاً هرشفلد لنتعرف ونعرف، وألفيناه.

تكلم طويلاً فهو قد نجح حيث فشلنا، أنه المخترع الحقيقي للطريقة التي أتت ثمارها في اوسلو «التفاوض كتابياً» وانطلاقاً من مبدأ أن الجميع غاطسون في مغطس واحد، وجه الأعمال نحو المصالح الإقتصادية للمنطقة، وليس نحو السياسة، وقد أعملوا الفكر معاً في أفضل الوسائل لتقاسم الماء أو لتشجيع التنمية بدلاً من أن يبنوا نظريات شمولية.

٥ - الختيار في المأزق :

عرفات يمثل ناجياً مزمناً من الموت

- في العام ١٩٦٧ غداة حرب حزيران نجح عرفات في الهرب من الضفة الغربية متنكراً، وبعيد ذلك بقليل وفي تموز ١٩٦٩ انتخب رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

- في ايلول الأسود ١٩٧٠ لاذ الفلسطينيون بالفرار هرباً من مصفحات

الملك حسين ولم تكتب النجاة لعرفات إلا بفضل تدخل رئيسي وزراء تونس وولي عهد الكويت.

– في بيروت شكل الفلسطينيون شيئاً فشيئاً دولة في الدولة اللبنانية، وفي بداية السبعينات كانت عصراً ذهبياً له.

– في العام ١٩٨٢ لم تكتب النجاة لياسر عرفات إلا بفضل عدوه اللدود آرييل شارون عندما بقي عشرين دقيقة في متناول رصاص المغاوير الإسرائيليين في بيروت.

– حينما غادر لبنان في ٣٠ آب ١٩٨٢ على متن سفينة نقل تحمل اسم اطلانتس، كانت معظم الأوساط الدبلوماسية في العالم تعتبره بحكم الميت سياسياً ومنظمة التحرير الفلسطينية بمثابة يتيم سياسي في تونس. في العام ١٩٨٨ اعترف عرفات بحق اسرائيل في الوجود وأكد أن ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية الذي ينص على تدمير الدولة العبرية قد بات لاغياً.

على المسرح الدولي فقد جاء انهيار الإتحاد السوفييتي والأنظمة الشيوعية في اوروبا الشرقية حرماناً من مساندة دبلوماسية مالية وعسكرية رئيسة للمنظمة، وقد توافقت نهاية الشيوعية مع الغشاوة التي ضربت على بصيرة عرفات، فوقف إلى جانب صدام حسين في حرب الخليج ومرت السنون وتفاقمت المرارة.

وعندما افتتح في ٣٠ تشرين الأول ١٩٩١ مؤتمر مدريد حول الشرق الأوسط، اضطر عرفات إلى تحمل مذلة جديدة حدّدها مسؤول أميركي بأنها حيلة قانونية مهذبة فمنظمة التحرير الفلسطينية لن تمثل رسمياً على مائدة المفاوضات، والوفد الأردني – الفلسطيني لن يضم سوى فلسطينيي الداخل.

اسرائيل مستعدة أن تجعل المناقشات تجر أذيالها عشر سنوات بيد أن المواقف ستشرع بالتغير بصورة غير محسوسة، فالرآي العام الإسرائيلي قد سئم الحرب، وعرفات ما عاد يؤمن بجدوى الخيار العسكري، وإذا كان مناحيم بيغن المتصلب قد حلت عليه النعمة واكتشف فضائل السلام بتوقيعه اتفاقاً مع مصر، فلماذا لا يستطيع عرفات ومن يحيط به أن يفعلوا الشيء نفسه؟

والحكومة الإسرائيلية بدورها أعلنت أنها ستعمد إلى كسر عظام عناصر الإنتفاضة، لكن بعد ذلك أكد رابين أنه لن يستطيع أن يحكم بالقوة مليونا ونصف من الفلسطينيين.

في الواقع كانت غيمة الأوهام قد انقشعت منذ زمن بعيد، فبعد ثورة الحماس بالنصر الصاعق في حرب حزيران ١٩٦٧ جاءت حرب يوم الغفران الصعبة في العام ١٩٧٣ لتحدث أول صدع في اسطورة عدم قابلية اسرائيل للقهر. وفي العام ١٩٨٢ كشف اجتياح لبنان عن مدى اتساع الإستياء في صفوف الرأي العام الإسرائيلي، فقد شجب حكومة استخدمت الجيش لأغراض تجاوزت ببعيد المقتضيات الدفاعية الصرفة، ولقد كان انفجار الإنتفاضة العام ١٩٨٧ أخيراً بمثابة برهان على حقيقة وجود أمة فلسطينية ولسوف تكون حرب الخليج العام ١٩٩١ هي المحطة النهائية.

اذن على الدبلوماسية أن تحل محل الخيارات العسكرية ابتداء من كانون الأول ١٩٩٢، وبدون دراية مسبقة توصل عرفات ورابين إلى استنتاج واحد أنه محكوم عليهما بأن يتفاهما. وقد حدث تطور واضح هو أن نلاحظ إلى أي حد اكتشف كل خصم من الخصوم أن خصمه لا يمكن الإلتفاف عليه، ولسوف يأتي تطور عرفات مشابهاً في كل نقطة من نقاطه لتطور رابين، كما تؤكد ذلك حنان عشراوي.

٦ - النرويج المواجهة الأولى :

بالرغم من الإحترام الذي كنت أكنه للنرويجيين لم أكن أدرك إلام سننتهي إليه في نهاية الأمر، وإن ما وصفته الصحافة العالمية لاحقاً بالشبكة النرويجية لم يكن إذن سوى ثمرة لقاء موفق بين عامل الصدفة والفاعلية الدبلوماسية لمجموعة صغيرة داخل حكومة اوسلو.

في نيسان من العام ١٩٩٢، أي قبل شهرين من الإنتخابات التي أسفرت عن فوز حزب العمل الإسرائيلي، كان فطور عمل قد جمع بين ايغلند (صحفي

نرويجي سابق عين في القدس كوسيط) واسحق رابين في مقر السفارة النرويجية. كانت نتيجته قناعة كاملة بأن رابين يبحث عن حل وسط مع الفلسطينيين.

إن احتمال عقد لقاء في اوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل ما كان أكثر من فرضية غير مربحة، والواقع أن ما من أحد في الجانب الإسرائيلي كان في ايلول ١٩٩٢ ذاك يؤمن بفائدة شبكة نرويجية.

في كانون الثاني ١٩٩٣ وافق بيلن على إرسال هرشفلد إلى العاصمة النرويجية، معتبراً بادرته دليلاً على حسن نية، وقد كان يعتقد في مطلق الأحوال بأن موفده سيلتقي بمداولات مطولة في الشؤون الإقتصادية موضوعه المفضل، وسيتجنب الخوض في المسائل السياسية الحاسمة، لكن هرشفلد ناقض الجميع بأن فعل العكس تماماً.

في العشرين من كانون الثاني ١٩٩٣ حط هرشفلد في مطار اوسلو وهو يحمل معه رسالة وبصحبته معاونه رون بونديك، أما الوفد الفلسطيني فقد وصل في الحادية عشرة والنصف ليلاً «أبا العلاء وحسن عصفور والدكتور ماهر».

وفي اليوم التالي كانت هناك جلسة عمل بحضر وزير الخارجية النرويجي يورغان هولست وزوجته ماريان هايبرغ.

وجوه الفلسطينيين والإسرائيليين بدت صارمة، بل كانت تنم أحياناً عن توتر واضح والنقاش بين الوفدين كان عبارة عن تبادل إطلاق نار.

إن كانت مفاوضات اوسلو قد اثمرت كما سيقول لاحقاً أحد الذين لعبوا دوراً رئيساً فيها فلسببين:

– لم يكن هناك وسيط يصغي ويتدخل ويقترح الأمر الذي من شأنه دوماً أن يزيد الوضع تعقيداً.

– إن انهيار الإتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة وضعا حداً للممارسات الزبائنية للدولتين العظميين.

لقد كان واضحاً في الإجتماعات أنها لم تكن لتبادل المحاجة والمجادلة فقد حضر الطرفان للتحدث في شؤون عملية، كانت رسالة لا لبس فيها ولا غموض مع

أن كل فريق كان يفاوض بخشية وتوجس.

في ١٩ كانون الثاني عشية افتتاح محادثات النرويج، كان الكنيست قد ألغى القانون الذي يحظر كل اتصال بين الإسرائيليين ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بالنسبة للفلسطينيين كانت الأمور أكثر دقة خاصة بعد أن أبعدت اسرائيل ٤١٥ مناضلاً من جماعة حماس فقد عصفت ريح أزمة بمنظمة التحرير ووقعت خلافات في الكوادر بين متضامن ومتفرج.

في جو كهذا فإن تسرب أي خبر عن سفر أبي العلاء إلى اوسلو كان سيجلب كارثة سياسية، مع ذلك بدأت اللقاءات حيث خرج الإسرائيليون بقناعة واضحة، أن الرجال الذين بمواجهتهم قد أدركوا أن اسرائيل باقية وإن التفاوض خير من متابعة القتال.

٧ - صيرفي المنظمة :

لقد اصطدم تطبيق الإتفاق بعدد كبير من الصعوبات، والعنف يطل برأسه من جديد إذ لا يمكن أن يمحى في بضعة أيام لوح ظل يكتب عليه مدة خمسين عاماً.

يقول أبو العلاء «أحمد قريع» لقد كنا نحن المفاوضيْن الفلسطينييْن نؤمن كلانا بمفهوم كلي كوني أنا بالرأسمال والمال وحسن عصفور الشيوعي بصراع الطبقات، فالمصرفي يعرف كيف يميز بين الإيديولوجيا والمسائل العملية وتصوري أن التطور المقبل يجب أن يتجه في المنطقة نحو مركز مالي - جامعة - اقتصاد - توظيفات دول ... الخ.

٨ - خيار أريحا :

كان الثاني عشر من شباط يوماً حاسماً، ففي تمام الساعة الحادية عشرة أخذ الوفدان مكانهما من جديد في قاعة الإجتماعات الكبيرة في بورغارد وبدأت

المناقشات حول وثيقة صاغها الوفد الإسرائيلي المفاوض «مشروع هرشفلد وبونديك».

بعد مداولات مع تونس اجتمع المتفاوضون واقروا ضرورة التوصل إلى إعلان مبادئ قبل التفكير باجتياز مرحلة ثانية.

لقد تمحورت المواقف الإسرائيلية حول نقاط ثلاث :

- **الأولى** : هي التدرج.

- **الثانية** : هي غزة على وجه التحديد، أما أريحا فلم يؤت بذكرها في أي لحظة.

- **الثالثة** : فقد تركزت على التعاون الإقتصادي.

«والإنتخابات المقبلة - والتشريع في منطقة الحكم الذاتي - والقدس».

وفي الوقت نفسه بدت المواقف الإسرائيلية ومواقف قابلة للإلتقاء. كانت هموم ثلاثة تشغل بال عرفات «كتم أمر المفاوضات - إبقاء الوفد الفلسطيني الرسمي إلى محادثات واشنطن على جهل مطبق بما يحصل».

بالإضافة إلى تأكيدات ومطالبات لتحقيق امتداد لغزة في الضفة الغربية، إذ أن هذا الأمر ضروري للحصول على أوسع دعم ممكن من قبل الفلسطينيين الذين يعيشون في ظل الإحتلال الإسرائيلي. فكان أن ظهر على الوجود مشروع بقع الفهد «المقصود مدن الضفة الغربية وانسحابات اسرائيل منها، وقد ابدى أيضاً الزعيم الفلسطيني بالمقابل استعداده لإرجاء موعد المفاوضات حول مستقبل القدس الشرقية التي ضمتها 'سرائيل إليها والتي ما فتئت منظمة التحرير الفلسطينية تعتبرها عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة.

في اوسلو كان سفير اسرائيل وممثل منظمة التحرير الفلسطينية لا يزالان يجهلان ما يحاك على مرمى منهما، وفي اسرائيل عاش هرشفلد وبونديك هاجس ذيوع خبر المفاوضات.

لاحقاً كان المطلوب الإهتداء إلى حل يحقق للمنظمة الفلسطينية مكسباً رمزياً ومحدوداً جغرافياً واستحضر الوزير الإسرائيلي في ذهنه للحال مشروعاً

قديماً كان قد جرى تداوله في العام ١٩٧٤ «فكرة تحقيق انسحاب من طرف واحد من أريحا اثباتاً لحسن نية اسرائيل تجاه الأردن». الفكرة جيدة ولكن تطبيقها لن يكون سهلاً ،فقد كان بيريس على يقين من أن عرفات سيرفض الإقتراح إذا ما صدر عن اسرائيل. لذلك رسم تكتيكاً تكشف عن عملية بلف بارعة.

في القاهرة التقى مبارك بيريس واتفقا على منح أريحا حكماً ذاتياً وعلى هذا الأساس أخذت العملية مسارها وأضحى بالمقابل أنه على منظمة التحرير ألا تفوت هذه الفرصة الفريدة. في لقاء عرفات ومبارك شارك الباز ناصحاً ومصححاً وصائغاً للأفكار المطروحة، وفي أقل من يومين تحولت فكرة بيريس إلى مشروع عرفات، وهكذا شهر رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مطلباً كان قد أملي عليه بصورة غير مباشرة عن طريق الوساطة المصرية، وبقي على بيريس أن يقوم بالمهمة الأصعب: بيع مفاوضات اوسلو ومشروع أريحا إلى اسحق رابين.

٩ - شيمون بيريس، اللامحبوب :

كان بيريس واعياً للمشكلة الفلسطينية خلافاً لغولدا مائير، ولكنه طالما اعتقد مثله مثل كل الطبقة السياسية الإسرائيلية أنه لا ينبغي له الكلام في السلم إلا مع الملك حسين، إذ كان ينبذ فكرة سلم منفرد مع منظمة التحرير الفلسطينية. وقبل ثلاث سنوات من توقيع واشنطن رفض أن ينظم له لقاء مع منظمة التحرير الفلسطينية. متى غير رأيه؟ إنه يتذكر التاريخ بدقة تموز ١٩٨٨ عندما أعلن الملك حسين ملك الأردن أن يقطع الروابط الإدارية والقضائية مع الضفة الغربية وهذا معناه أنه ترك الفلسطينيين والإسرائيليين وجهاً لوجه وسقط الخيار الأردني.

بعد ذلك الفشل مع الأردن لم يبق من محاور مقبول سوى فلسطينيي الداخل فلسطينيي الصمت، وقد بذل كثيراً من الجهود للإهتداء إلى أرضية للتفاهم، ولكن بدون جدوى، فتلك المنظمة الفلسطينية التي أبعدت إلى تونس، والتي أراد الإلتفاف عليها وقفت بكلية حضورها حاجزاً بينه وبينهم.

١٠ - رابين يدخل المسرح :

في أيار ١٩٩٣ قرّ عزم بيريس على إعلام رابين، فقد بات مستحيلاً عليه بعد الآن متابعة عزفه المنفرد، لقد كان يحلم بأن يلعب الدور الأول، لكنه كان يعلم أن معظم الممثلين الذين لهم ضلع بالمسرحية يتمنون مشاركة رابين بدءاً بعرفات.

تم اللقاء في عصر أحد الأيام، تكلم بيريس مطولاً وكان رابين يصغي وقسمات وجهه متجمدة، حين أكمل وزير الخارجية عرضه، قال رابين بصوته الوئيد الأجش أنني مطلع على كل شيء.

تلقى بيريس الضربة، كان يعتقد أن رابين سيقدر بادرته، فإذا به يجد نفسه وقد وقع في فخ، كان رابين يعلم، هذا صحيح ولكنه كان يبلف بإيحائه وكأن ما من شيء يمكن أن يفلت منه. انصرف بيريس بعد أن أفلح على كل حال في انتزاع موعد بعد ثلاثة أيام لهرشفلد وبونديك وله.

في الوقت المحدد شرح هرشفلد وبونديك الموقف بتفاصيله. شكرهما رابين بلهجة مجاملة بدون أن يصدر عنه أي تعليق وودعهما وعاد إلى بيريس ليؤكد له موافقته على المضي قدماً إلى الإمام وتكليف الدبلوماسي أوري سافير «المدير العام لوزارة الخارجية».

بادر هذا إلى الإجتماع مطولاً بهرشفلد وبونديك ودرس باهتمام شديد الوثيقة التي حملاها إليه وعقب بعد ذلك: أن النص ليس سهلاً إنه ينطوي على أشياء جيدة وسيئة.

كان التحدي بالنسبة إلى سافير سياسياً وشخصياً معاً.

في أيار توجه ياسر عرفات إلى فيينا حيث التقى عدداً من الصحفيين الإسرائيليين، لم يكذب خبر وجود مفاوضات سرية لكنه ترك الأمور على إبهامها، مؤكداً على ضرورة تحقيق سلام الشجعان.

في ٢٠ أيار طار اوري سافير إلى اوسلو برفقة هرشفيلد وبونديك واستقبلهم لارسن إلى القاعة المخصصة وهناك تم اللقاء الإسرائيلي الفلسطيني، هذه هي المرة الأولى التي ترفع فيها الحكومة الإسرائيلية المحظورات كافة وتأذن لمسؤول

رسمي بلقاء مسؤولين في المنظمة الفلسطينية بغرض مباشرة المفاوضات.

أفصح كل جانب عن وجهة نظره بحزم واعتدال دون صياح عدواني وكانت التوترات تبرز في غالب الأحيان في أواخر الليل عندما كان أحد الفريقين يبدي تصميمه على كسر الآخر، وطيلة تلك اللقاءات كان البعد السيكولوجي حاضراً بقوة، كان التقدم سريعاً في المسائل الإقتصادية وبطيئاً وأكثر صعوبة في مسائل الأمن.

حينما افترق الوفدان في ٢٢ أيار تم الإتفاق على طريقة إجرائية لتنظيم الإجتماع القادم وعلى ايجاد قانوني بارع للغاية لتمرير بنود الإتفاق على أشعة الليزر.

١١ - الوصفة مشهية لكن الطهو فاشل :

يوم ٢٤ أيار وصل يوئيل سنجر ممثل مصالح وزارة الدفاع الإسرائيلية في أميركا إلى واشنطن.

لقد شارك هذا المسؤول في جميع المفاوضات الدولية ذات الشأن في تشرين الأول ١٩٧٣، وفي العام ١٩٧٤ شارك في صياغة اتفاق فك الإشتباك مع مصر وسورية ثم في مناقشات كامب ديفيد العام ١٩٧٨، بعد ذلك مثل القوات المسلحة الإسرائيلية في مناقشات الحكم الذاتي وفي العام ١٩٨٣ تفاوض على اتفاق الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان، وكان هذا السجل الحافل يكفل له من جانب المسؤولين السياسيين اعجاباً لا مشروطاً وبعد إجراء محادثات عاد إلى اسرائيل بناء على طلب رئيس الوزراء ووزير الخارجية. وفي فندق هلتون التقى يائير هرشفلد لمناقشة نصاً مضروباً على الآلة الكاتبة أنها وثيقة اعدت مع منظمة التحرير الفلسطينية. بعد القراءة تبين لسنجر أن هذه الوثيقة رديئة للغاية إنها مثل طبق كاتو لم ينضج، الوصفة مشهية، لكن الطهو فاشل تماماً.

في وقت لاحق التقى سنجر بيريس وقدم له ملاحظاته الخطية على هذه الوثيقة وكان أهمها أن الوثيقة رديئة ولكنها تتضمن نقطة ايجابية واحدة على الأقل

فظاهر للعيان أن منظمة التحرير الفلسطينية تبنت موقفاً مختلفاً وأكثر مرونة من ذاك الذي دافع عنه وفدها في واشنطن، ولا شك أن التسوية التدريجية للمشكلات تشكل مقاربة جديدة.

واستعرض سنجر ورابين وبيريس واحدة بواحدة جميع النقاط الأخلاقية في الوثيقة والضمانات الشفهية المقدمة من وفد منظمة التحرير الفلسطينية وتبين للجميع أن عرفات مفتاح تطور العلاقات الإسرائيلية - الفلسطينية والإسرائيلية العربية.

في ١٤ حزيران طار سنجر إلى النرويج برفقة سافير وهرشفلد، وحين التقى الوفدان الفلسطيني والإسرائيلي من جديد في فيلا توماس هفتست في أعالي اوسلو ما كان أي من المشاركين ليشتبه بأن المناقشات ستمتد إلى ٢٠ آب أي إجمالياً زهاء مئتي ساعة تفاوض ومع ذلك لم يكن أي شئ قد حسم بعد.

عاد سنجر إلى اسرائيل ونقل ما توصل إليه من استنتاجات إلى رابين وبيريس، كان رأيه أن منظمة التحرير الفلسطينية صادقة فعلاً في رغبتها في التفاوض وأنه لا بد من مواصلة السير على هذه الطريق هكذا خلص المجتمعون إلى تحرير صيغة لمشروع اتفاق يقدم في اجتماع اوسلو القادم.

وبالفعل عرض هذا الإتفاق على الجانب الفلسطيني واستمرت المناقشات ثلاثة نهارات وثلاث ليال بلا انقطاع حيث تمركز النقاش حصراً بين سنجر وأبي العلاء.

بعد جلسات طويلة أمكن الإهتداء إلى حل وسط فسافير وسنجر قد انطلقا من موقف متطوف ثم خففا شيئاً فشيئاً من تطرفهما حتى لم يبق من نقاط الخلاف الكثيرة سوى خمس.

في أثناء ذلك ما انفك المندوبون عن الإتصال هاتفياً باسرائيل وتونس حتى افترق الوفدان وهما يحملان في حقائبهما اليدوية مشروع الإتفاق.

على أن اللقاء التالي في النرويج سيأتي هذه المرة صدمة للإسرائيليين، فقد كانوا يتوقعون أن تجري مناقشة نقاط خمس لا تزال موضع خلاف ولكنهم فوضوا

بمشروع فلسطيني جديد يوضع على الطاولة يضم نحواً من عشرين نقطة ما أثيرت قط إلى ذلك اليوم.

وانسحب الإسرائيليون لفحص الوثيقة لبعض الوقت ثم عادوا أدراجهم إلى قاعة الإجتماع وبدأت المهاترات والمداولات والإلتحامات وتوترت اللهجة وتصادمت الأقوال المتبادلة وترك الوفدان الطاولة وقد انسد الموقف تماماً.

وراح النرويجيين وقد أقلقهم الموقف يبذلون جهوداً مضاعفة لإقناع الجانبين بتقديم تنازلات بصدد النقاط المتنازع عليها.

١٢ - عرفات على مر الأيام :

طالما كان ياسر عرفات غير متأكد من الإلتزام الشخصي لرابين فإنه لم يتابع المفاوضات إلاّ بعين ساهية، ولكن بعد دخول سنجر على خط المفاوضات ضاعف عرفات من حضوره وراح يمضي ساعات على الهاتف مع أبي انعلاء للإستفهام والتوضيح.

في أحد إجتماعاته صرح بوضوح بأنه سيلغي بنداً هاماً من ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية والقاضي بتدمير اسرائيل، وبأنه يقبل مبدأ المفاوضات مع اسرائيل وبقبول فكرة دولة فلسطينية إلى جانب اسرائيل من خلال سلام دائم وكامل.

١٣ - السلم في خطر :

صبيحة يوم ٦ تموز ١٩٩٣ انتهى الإجتماع المباشر والمشترك في جو من الحبور، وبدت الصعوبات كافة وكأنها سويت. همس هرشفيلد في اذن سنجر: الآن اعتقد أن الكاتو قد طهي بصورة مضبوطة.

كان من الضروري الإنتهاء على عجل لأن المعلومات كانت بدأت تتسرب إلى الصحف، وكان مصدر التسرب وزارة الخارجية الأميركية والأرجح أن مصر كانت وراء قسم لا بأس به من هذه التسربات بسبب اللعبة المثلثة التي كانت تلعبها، فقد

كـانت تضطلع بدور الوسـيط المسـتـقـيم لدى كل من اسـرائيل ومنظمـة التـحـرير الفلسطينية والولايات المتحدة.

في لقاء تم بين أسامة الباز ورابين في شهر تموز اتفق الإثنان على أن تكون المباحثات الدائرة رسمية وتم ابلاغ عرفات بذلك، وهكذا أصبح كل شيء على ما يرام وبدا أنَّ الأمور تسير نحو المصالحة.

وفي لقـاء آخر تم بين عرفات والوسـيط الجـديد أحمـد طيـبي تم الإتفـاق على سبر غور رئيس الحكومة الإسرائيلية. وبالفعل تمت اللقاءات والإتصالات وكان الرد أنها المواقف الأكثر تقدماً التي اتخذتها منظمة التحرير الفلسطينية في تاريخها قط ... لقد اضطروا إلى القبول بجميع الشروط التي وضعناها وعرفات علق في الشبكة.

وهكذا لم يبق أمـام الفـريقين سـوى هـدف واحـد «توقـيع الإتفـاق بأسـرع مـا يمكن» وطبـقـاً لما يقـوله سنجـر فـإن الإتفـاق كـان قـد أمـسى إلى حـدٍ كـبيـر بـحكم الحاصل، ولقد بات المطلوب الإنتهاء منه بسرعة.

١٤ - مصر تتوسط :

يبدو أن جميع الأزمات الطارئة في اوسلو تجد حلها على ضفاف النيل ... ومع ذلك قيل أن القاهرة ليست إلا صندوق بريد ... مجرد ساعي بريد يسعى وراء بعض المساعدات المادية، من نصدق؟

إن ساعة السلم في الشرق الأوسط قد دقت من قبل عدة مرات في القاهرة. في ١٣ تشـرين الثـاني ١٩٧٧ أذن الكنيـست الإسـرائيلي لرئيس الوزراء بدعـوة السادات وفي صبيحة يوم ١٩ حطت طائرته في تل أبيب.

عـام ١٩٩٣ ها نحن ذا من جـديد في القـاهرة نتـقـفى أثر شـبكات السـلام. بعضهم تغير، وبعضهم مات، والسلام قد وقع. رئيس وزراء مصر الأسبق مصطفى خليل يؤكد أن ثلاثة رجال فقط كانوا على علم بمفاوضات اوسلو: الرئيس مبارك، ومستشاره أسامة الباز ووزير الشؤون الخارجية عمرو موسى.

١٥ - أميركا العمى على بصرها :

كريستوفر: لم يكن من أصحاب الرؤى، ولا جهبذا من جهابذة السياسة، ولكنه قادر على المضي في التصميم إلى درجة العناد بدون بريق، ونهاية الإتحاد السوفييتي في كانون الأول ١٩٩١ قد دقت ناقوس عصر بأكمله، وكريستوفر يعرف ذلك، لكنه بدا عاجزاً عن تصور معالم نظام دولي جديد.

كان سلفه بيكر قد صرح «لقد حطمت الولايات المتحدة الشيوعية بكسبها الحرب الباردة، وقد حطمت أيضاً الراديكالية العربية بكسبها حرب الخليج». وبالمقابل كان بوش يدلل على فاعلية حقيقية في مضمار السياسة الخارجية، بينما الرئيس الأميركي كلينتون يكلف كريستوفر بأي قضية بكلمة واحدة عالج هذا الملف.

يقول أحد المسؤولين الأميركيين «ما رأيت قط كلينتون يكرس أكثر من خمس دقائق لمشكلة دولية»، «واسرائيل بحاجة إلى ضمانات جديدة اثباتاً لها أن الولايات المتحدة لن تتخلى عنها أبداً».

في ٤ آب في القدس لم يكاشف أحد كريستوفر وفريقه بالمناقشات السرية الدائرة مع المنظمة الفلسطينية، لكن عرفات كان يتتبع زيارة وزير الخارجية الأميركي بقلق إذ كان يخشى بالفعل أن تسبقه الأحداث باتفاق توقعه سورية واسرائيل، ومع ذلك أعلم كريستوفر في العاصمة الأميركية فيما بعد بالتقدم الذي احرزته القناة النرويجية.

منذ أواسط حزيران كان اسحق رابين قد كاشف سنجر بأهدافه «حال التوصل إلى الإتفاق سننقل النتائج بدون أن نكشف شيئاً منها إلى الوفدين الإسرائيلي والفلسطيني المتواجدين في واشنطن، وعلى هذا النحو سيكون في مستطاعنا تفادي ما قد يؤخذ علينا من كوننا أجرينا مفاوضات رسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية.

في نهاية حزيران سلم سنجر لأبي العلاء وثيقة من بضع صفحات بعنوان مقترحات شخصية ليوئيل سنجر، وكان النص يتحدث عن اتفاق لاعتراف متبادل.

في تونس دُرست الوثيقة مطولاً من قبل عرفات وجاء الرد بالموافقة على الإعتراف المتبادل ولكن بقيت المباحثات سجالاً بين الطرفين واستمرت عملية شد الحبل إلى يوم ٢٠ آب حيث بات إعلان المبادئ المتفاوض عليه جاهزاً للتوقيع، رغم أنَّ وزارة الخارجية الأميركية بقيت على تحفظها وتشككها.

في الساعة الخامسة والنصف صباحاً كان الإتفاق قد تم وكان عبارة عن إعلان مبادئ يمنح الفلسطينيين لا استقلالاً ذاتياً كما نقول بالفرنسية بغير دقة بل حكماً ذاتياً، والفارق على دقته كبير فالإستقلال الذاتي ينطبق على جماعة ما بدون تعيين مكان إقامتها، أما الحكم الذاتي فيمارس ضمن نطاق جغرافي محدّد كأساس مادي، ويقضي الإتفاق أيضاً بإجراء انتخابات عامة تحت إشراف سلطة دولية على جميع الأراضي خلال مدة اقصاها تسعة أشهر من توقيع الإتفاق، وبانتظار الإنتخابات سيمارس مجلس فلسطيني يقيم في أريحا تسمّيه منظمة التحرير الفلسطينية، سلطته على الضفة والقطاع تمهيداً لنقل السلطات بما فيها سلطة الشرطة.

١٦ - رابين الصامت :

رابين خجول بالفطرة ذو عقلية عسكرية، ويصعب الدخول إلى سره، متشكك ويرتاب وإذا ما اقتنع بقضية يمضي إلى النهاية، وهذا ما حصل على وجه التحديد إبان مفاوضات اوسلو.

بعد النصر في العام ١٩٦٧ ألقى في جامعة جبل المكبر العبرية خطاباً أثار الدهشة قال فيه على اسرائيل أن تختار بين الديمقراطية والهيمنة لتعارضهما، ومن ثم فإنه يتعين على اسرائيل أن تعيد الأراضي المحتلة مقابل الحصول على السلام.

وهذا المنطق شكل صيغة أولية للتصريح الذي سوف يدلي به في واشنطن بعد ٢٦ عاماً في أثناء حفل التوقيع على الإعتراف المتبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

في أيار ١٩٩٣ استقبلنا رابين في فندق هرتزليا، وقد كان الإسرائيليون

والفلسطينيون باشروا وقتئذ مباحثاتهما في اوسلو، ثم التقيناه مرة ثانية من أجل هذا الكتاب في مكتبه بالقدس.

تحدث قائلاً: «لم أعلق كبير آمال على الشبكة النرويجية، كما كنت أدرك أن المفاوضات المتعددة لن تنتهي إلى حل، فإن كان الله قد تواجد بين بيغن والسادات ففي واشنطن لم تتواجد بين الإسرائيليين والفلسطينيين سوى وسائل الإعلام.

من ناحية أخرى إذا كان العرب يتخذون من الفلسطينيين ذريعة للإستمرار في حرب اسرائيل إذن يكفي في هذه الحالة حل مسألة الفلسطينيين كيما نزيل إن لم يكن الحرب، فعلى الأقل سبب وجودها».

مع تراكم محاضر جلسات مفاوضات اوسلو على مكتبه أدرك رابين أنه يتعين عليه أن يتدخل مباشرة وكان شعوره في الطائرة التي اقلته إلى واشنطن للتوقيع على الإتفاق بأنه «على العاطفة أن تبقى غائبة عن السياسة».

١٧ - اوسلو، زيارة خالية من كل أهمية :

كان شارع باركفاين مساء يوم ١٩ آب مطوقاً برجال المباحث «استخبارات نرويجية وموساد» وكان أعضاء الوفدين الإسرائيلي والنرويجي يناقشون في جو رسمي وبارد مسألة التعاون بين البلدين، كان هذا اللقاء تمويهاً لما يدور في الطرف الآخر من المدينة «فندق بلازا» حيث المفاوضون الإسرائيليون والفلسطينيون يتواجهون بصدد آخر التفاصيل حيث تم الإتفاق على كل شيء.

وقد أكد أحد الشهود في وقت لاحق «كنا نسبح في اللاواقع فجأة فهمنا أن خمساً وأربعين سنة من المواجهات الدامية والأحقاد الموروثة قد تكون على وشك التلاشي نهائياً».

حول طاولة خشبية جلس اوري سافير وأبو العلاء ووقعا بالأحرف الأولى على الأوراق العشرين التي تتألف منها الوثيقة المحررة بالإنكليزية، وسوف يضيف يوهان يورغن هولست فيما بعد الحرفين الأولين من اسمه باعتباره شاهداً، وهذه الوثيقة تشبه في كل نقاطها تلك التي ستذيل بالإمضاءات يوم ١٣ ايلول في حديقة

البيت الأبيض. وتشير المقدمة إلى النقاط التالية:

– اسرائيل والوفد الفلسطيني يتفقان على أن الوقت قد حان لإنهاء عقود من المواجهة والنزاع.

– الإعتراف بالحقوق المشروعة والسياسة المتبادلة.

– السعي للعيش في ظل تعايش سلمي وبكرامة وأمن متبادلين.

– تحقيق تسوية سلمية عادلة ودائمة وشاملة ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها.

إنَّ هذا النص هو في جوهره إعلان مبادئ يجد تكملته في مشروع الإتفاق، والحدث الذي شهدته تلك القاعة في قلب الليل لهو شيء شبيه بالمعجزة حقاً.

إضافة لما ذكر فإنه من المفترض أنَّ المجتمعين قد وقعوا أيضاً ملاحق سرية جرى ايداعها في صناديق غير قابلة للفتح عنوة ومن جملة تلك الملاحق على ما تناهى إلينا:

«ملحق من ثلاث صفحات يشير إلى التزام منظمة التحرير الفلسطينية بعدم إنشاء دولة فلسطينية في – السنوات الخمس من المرحلة الإنتقالية، وثمة بند آخر يفصل، على ما تناهى إلينا أيضاً، الوسائل التي سيعتمدها الجيش الإسرائيلي لتأمين حماية المستوطنين الإسرائيليين».

إنَّ التطبيع الجاري بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يحف به قدر هائل من الإلتباس والتعقيد، يقول رابين في هذا الخصوص «أن المبدأ قد تمت الموافقة عليه، ولكن يبقى علينا أن نفاوض على ٨٠٪ من تطبيقه، ولكن رابين وعرفات عقدا العزم على الإنتهاء من العملية بسرعة تفادياً لإتاحة الوقت لخصومهما كيما ينظموا صفوفهم ويشنوا هجوماً مضاداً.

في تونس ارتفعت الأصوات عند ذلك الحدث، وفي القدس راح رابين يراقب ردود الفعل بقلق وبات يخشى من هبوب موجة عاصفة تطيح بعرفات. علماً بأنه يدرك تماماً أن ديمومة الإتفاق ستستند في المقام الأول على الدعم الأميركي.

«فأميركا القوة الوحيدة القادرة على أن تضمن له الجوهر والتطبيق معاً».

في ٢٥ آب علم كريستوفر بالحدث بواسطة رئيس الوزراء الإسرائيلي حيث أعلن الأميركيون غبطتهم بما آلت إليه الأمور ولكن الواقع يؤكد أنهم كانوا مجروحين. وبالمقابل طالب رئيس الوزراء هذا كريستوفر بأن يتولى إعلام الملك حسين ورفيق الحريري وفاروق الشرع.

كان الملك حسين يتخوف من أن يكون نظامه هو المتضرر من ذلك الإتفاق خاصة بعد ما تعرض له التضامن العربي والقومية العربية من جراء حرب الخليج.

في أميركا استقبل كريستوفر بيريس وتفهم الحدث بدقة ووافق بعد الإتصال مع كلينتون على تنظيم احتفال كبير في القدس وانتابت رابين سورة غضب بارد، لقد بات يعلم أنه يستحيل من الآن فصاعداً إخفاء الحقيقة.

كما أعلن أكثر من عشرة آلاف مستوطن يهودي استعدادهم لحمل السلاح لمعارضة أية خطة لحكم ذاتي.

يوم الأحد ٢٩ آب أبلغ بيريس الحكومة الإسرائيلية في اجتماع عقدته بكامل أعضائها بالإتفاق الذي تم توقيعه مع منظمة التحرير الفلسطينية، وبعد يومين أذاعت اسرائيل النبأ رسمياً، في اللحظة عينها التي كانت تفتح فيها في واشنطن الجولة الحادية عشرة للمفاوضات الثنائية الأطراف.

في ٣١ آب شرع رابين وبيريس ببيع الرأي العام الإسرائيلي مشروع الحكم الذاتي، أما عرفات فقد بذل من جانبه نشاطاً دبلوماسياً مكثفاً.

رفض الرئيس الأسد مكالمته هاتفياً فطار عرفات إلى الإسكندرية بهدف تكليف الرئيس مبارك بوساطة مع الرئيس الأسد والملك حسين أيضاً، ولكن الإتصالات لم تجد فتيلاً لأنّ التقارب الإسرائيلي - الفلسطيني لم يقابل بالإرتياح من قبل الزعيمين.

وجاء جواب ملك العربية السعودية جافاً هو الآخر، فحقد الملك فهد على عرفات كبير منذ أن وقف هذا الأخير إلى جانب صدام أثناء حرب الخليج.

بعد أيام التقى عرفات حسن الترابي في الخرطوم كما التقى الملك الحسن الثاني في الدار البيضاء. وفي ٣ ايلول دارت في جلسة مغلقة مواجهة طويلة

وصاخبة بين عرفات وبين أعضاء اللجنة المركزية لفتح، وقد أخذ على عرفات طرائقه وعقده لإتفاق كان ينبغي أن يحظى أولاً بموافقة المجلس الوطني الفلسطيني، نتيجة النقاش أعلن عرفات عنوة أنَّ الإتفاق قد تمت الموافقة عليه، وما من أحد ليستطيع أن يغير فيه كلمة أو حتى أن يضيف إليه فاصلة.

١٨ - آباء وأبناء :

إن الجهود المخلصة التي بذلها الآباء ذهبت هباء، وقد تعين على الجيل الثاني أن يتدخل ليكتب له النجاح.

رون بونديك فاوض في اوسلو منذ اليوم الأول إلى جانب يائير هرشفلد، والده هربرت صحفي اسرائيلي - دانماركي معروف يتذكر جيداً مناقشات والده مع الكاتب عموسي أيلون ومعنا بالذات ... لقد كنا نبحث عن الطريق إلى السلام، وها قد اهتدى إليه في الوقت المناسب الصبي الصغير الذي كان يصغي إلينا بانتباه.

في الجانب المقابل كلف عرفات أبناً آخر هو سري نسيبه بتنظيم الإدارة، وكلف رابين افراييم ابن موشي سنيه أحد مؤسسي دولة اسرائيل بأن ينظم مع عرفات محادثات موازية لمحادثات اوسلو.

١٩ - المواجهات الأخيرة :

في الخامس من ايلول أفاد بيريس قائلاً «لقد أصبحنا على قاب قوسين أو أدنى من السلام الكامل».

وهكذا انكشف سر المفاوضات لكن الصحافة عجزت عن تعيين مكان تواجد المفاوضين.

في اليوم التالي التقى عرفات الرئيس حافظ الأسد، ولقد اتسم هذا اللقاء بالبرود والتوتر، فقد أصغى الرئيس الأسد بصمت والإستياء باد عليه إلى شروح عرفات. وجاء الرد واضحاً بعد أن أدرك أن الأميركيين قد وضعوا ثقلهم وأن أثنتي عشرة دولة عربية تبنت هذه المشروع من بينها الأردن بعد أن قلب موقفه «إنه حل

فلسطيني، وأنتم أحرار في التفاوض على النحو الذي اخترتم، وحسب الإتفاق هذا فإن اسرائيل هي صاحبة السيادة على الأرض».

صحيح أن دمشق تستضيف زهاء عشر منظمات فلسطينية مناهضة للإتفاق، ومع ذلك وكما أوضح أحد معاوني عرفات الذي حضر اللقاء «ما كان الرئيس الأسد يستطيع كما شعرنا أن يعارض تسوية ستنتهي إلى إنسحاب عسكري اسرائيلي من الأراضي المحتلة».

يوم ٧ ايلول وصل عرفات إلى القاهرة لمناقشة طلبات اسرائيل بإلغاء ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية الذي صيغ العام ١٩٦٤ حيث راح كل من أسامة الباز وعمرو موسى لتقريب وجهات النظر بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني، غير أن الإسرائيليين دللوا على تصلب شديد وبدت المفاوضات وكأنها قد انتهت إلى نفق مسدود.

عشية الثامن من ايلول اجتمع المتفاوضون في فندق بريستول في باريس، فقد كان يتعين عليهم قبل أن تشرق شمس اليوم التالي تذليل شتى الصعوبات التي لا تزال قائمة. وبالمقابل فقد بقي عرفات ورابين طيلة تلك اللية على اتصال هاتفي مع المفاوضين بسبب نقاط ثلاث هامة:

- **الأولى** : حق اسرائيل في الوجود بأمن وسلام.
- **الثانية** : عرفات وعدوله عن الإرهاب وبنود الميثاق الوطني غدت لاغية.
- **الثالثة** : وضع حدٍّ للإنتفاضة.

وأخيراً تم الإتفاق على النقاط الثلاث بالصيغة التالية: «منظمة التحرير الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطيني في الضفة وغزه وتدعوه إلى ... رفض العنف والإرهاب».

وأخيراً تم التوقيع على الرسائل المتبادلة وأعلن رابين «اعتقد بأنها بداية عصر جديد وأملي أن يضع هذا الإتفاق حداً لمئة عام من المواجهات الدموية، وأنه لا يزال أمامنا طريق طويل يتعين علينا اجتيازه».

وفي اليوم عينه أفاد استفتاء نشرته الصحف بأن ٥٧٪ من الإسرائيليين

يؤيدون خيار غزة - أريحا وأن ٤١٪ من بينهم يعارضونه.

وبالمقابل وبموجب هذا الإتفاق فقد تخلت منظمة التحرير الفلسطينية عن الهدف الذي كان وراء تأسيسها قبل ٢٩ عاماً أي عن تحرير كامل أرض فلسطين.

بعد بضع ساعات وجه البيت الأبيض دعوتين إلى اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية لاحتفال ١٣ ايلول كما أجرى كلينتون عدداً من المكالمات الهاتفية مع الأبطال الرئيسيين «اسحق رابين - الملك فهد - الرئيس حافظ الأسد».

تسارعت الأمور في نهاية بعد ظهر يوم الجمعة ١٠ ايلول، شمعون بيريس وعرفات سيحضران شخصياً إلى واشنطن ولاحقاً وافق رابين على الحضور أيضاً.

في الحادي عشر من ايلول أعلن أحد المعارضين في فتح «أن هذا الإتفاق إما أن يكون لعرفات نصره الأكبر أو قبره».

في اسرائيل اشتدت حدة الإنتقادات ولا سيما في الصحافة تحسباً لهذا اللقاء بين رابين وعرفات. لقد كان علينا أن نعطي الرأي العام الوقت الكافي لهضم الإعتراف بالمنظمة وبعرفات، تنبه الصحفيون لغياب شخصين هما هرشفلد ورون بونديك ... وهكذا جرى التشطيب على مجنوني السلام اللذين لولاهما لما حدث الحدث أصلاً.

وهكذا بدا للجميع أن العرب قد أدركوا بأنهم غير قادرين على تدمير اسرائيل والظفر بالسلام، وأدركت اسرائيل بأن حلم اسرائيل الكبرى لن يعود عليها لا بالأمن ولا بالسلام».

أما بالنسبة إلى المسؤولين عن ملف الشرق الأوسط في وكالة الإستخبارات المركزية، فكان رأيهم أنه يتعين تطبيق الإتفاق بدقة وسرعة فنجاحه مرهون بهذين الشرطين».

وكتب خبراء وزارة الخارجية تقريراً أهم ما جاء فيه «سيتعين على التعاون العربي - العربي أن يستند من الآن فصاعداً على أسس مغايرة، لا على النضال ضد اسرائيل الذي ما أفاد حتى اليوم إلا في تبرير الإستبدادية، إن شعوب هذه

ـدان ستفصح عن تطلعاتها إلى المزيد من الديمقراطية وإلى تحولات اقتصادية سيقة وإلاّ وجدت نفسها في مأزق».

قبيل الإحتفال الذي جرى في واشنطن في ١٣ ايلول حصلت في اللحظة لأخيرة مواجهة في الكواليس حول جملة وردت في نص الإتفاق «الوفد الفلسطيني» والضروري أن يقال منظمة التحرير الفلسطينية واستمرت عملية شد الحبل وأخيراً ؛ افقت اسرائيل.

استغرق ذلك مع عملية الطبع زمناً لا بأس به ولذلك تأخر موعد افتتاح لإحتفال زهاء عشر دقائق وأخيراً تمت مراسم التوقيع.

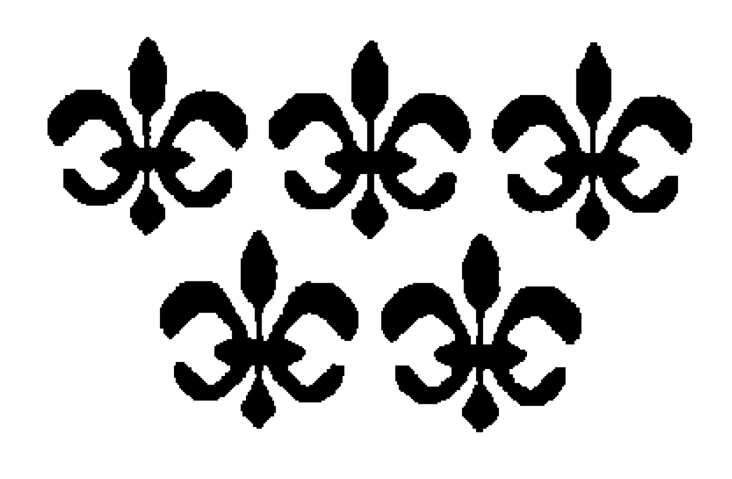
في طريق العودة حط رابين وبيريس في الرباط لمقابلة الملك الحسن الثاني.

في ١٥ ايلول اتصل كلينتون بالرئيس الأسد وأبلغه بأن الإتفاق وصل مرحلة التنفيذ وأنه يجب شد عنان المنظمات الفلسطينية التي تهاجم اتفاق السلام.

إن الحدث الذي حصل لم يكن أقل أهمية من انهيار الشيوعية حتى ولو اقتصر تأثيره على خمسة ملايين اسرائيلي ومليوني فلسطيني فلكأن الله شاء أن يخلق عالماً جديداً كما كتب أحد المعلقين.


٣٠ - شعوب الكتاب :

هل هذه التجربة تصلح لأن تكون مقالاً يحتذى لحل نزاعات أخرى؟ لقد اعتقد النرويجيون ذلك، وبخاصة هولست قبل أن يفارق الحياة على حين غرة فقد دعا إلى اوسلو الصرب والكرواتيين والبوسنيين من ثم الأنكليز والإيرلنديين ولكن من دون أن يخرج بنتيجة ذلك أن لكل نزاع خصائصه المميزة وتاريخه المميز.



الفهرس

رقم الصفحة



مطابع الادارة السياسية

مطابع الادارة السياسية

مطابع الادارة السياسية